خطتنا ايضاً

مكافحة الوباء الفكري

مضينا نبشر ونبشر ابداً بنظرية ان الحياة فكرة ، او هي فكرة في اكبر عناصرها . والحياة قد تنفعل مباشرة باسباب كثيرة ، ولكن ابين هذه الاسباب المباشرة اثراً هي الفكرة ، فعليها وحدها مدار الحركات العامة .

لذلك جئنا في دور نهضتنا العربية نعمل على تصحيح الفكر ، قبل الدخول في تصميم الهيكل الخاص .

ولاجل ان تكون خطتنا اكثر فهماً نصرح : باننا نعمل قبل كل شيء ، على اذكاء الصراع العقلي بين فكرتين أو حياتين . حياة عرفناها وهي تتداعى اليوم بل نحن نعمل على هدمها ، وحياة ينبغي ان نعرفها وان تخالطنا الوانها وتتصل باسباب نفوسنا ، ونحن نعمل على تشييدها لتكون قاعدة مجتمعنا العربي الحديث .

ودون تقريرها كدعامة مركزة ، صراع عنيف نهيب بالجموع ان ينخرطوا فيه كجند من جنود العقل المتحرر .

ان مجتمعنا يجب ان يبقى على النقاء ، والتفادي عن الدخول فيه بوراثات طامسة تنشر فيه الحلكة والعتاقة . ان هذه الوراثات التي يوجد في الناس من يدافع عنها — لو تسنى لاسلافنا من يجردهم منها لأجابوه سراعاً وعملوا معه على تهديمها ، لانها وراثات فاسدة في نفسها وقد افسدت حياة الاسلاف من قبل نوعاً ما ، ولكن اثر فسادها الجسيم ظهر فينا نحن ، بحيث تحسسناه اكثر منهم وتجسم بيننا وبدت هذه الوراثات لنا كأنها الافعوان الكالح .

ولو انها كانت وراثات صالحة مهذبة لدعونا الى المحافظة عليها بحجة انها تتصل بالخلق القومي والعنعنات التاريخية فيجب ان نتعصب لها ونستمسك بها ، ولكنها فاسدة بكل معنى الفساد ، فالبناء القومي والعمل المخلص في الحقل يدعواننا الى تحطيمها وتحطيم كل ما يتصل بها وينتصر لها . ان الاوضاع والتعاليم هي التي تصنع النجاح الحيوي وتدخل في تهيئة الوضع الاجتماعي الرفيه .

ان التعاليم والاوضاع وحدها التي تبعث الامم وتجعلها غلابة قوية . فالتعاليم بهذه الصفات المجتمعة هي التي ننادي الى اعتناقها ونلح بافساح المجال لها وحدها ، واما التعاليم من غير هذا النوع فنحن نتنادى متناصرين بكل قوة الى إقبارها قبل ان تحدد لنا الاخاديد ، وتخط سبيل الفناء بيننا وتجعل من مجتمعنا معالم قبور . اننا من تلك الاوضاع الفاسدة على فوهة البركان الذي يستجيش للثوران ...

ان التعاليم والاوضاع التي تدخل اليوم في كل مذاهب حياتنا الفكرية والعملية هي سموم اجتماعية تهدد حياة المجتمع كالاقطاعية المتسترة ، والنظام الطبقي القائم على اساس الثروة ، والنظام الطائفي القائم على اساس الانفصال ، والنظام العائلي القائم على اساس الميوعة ، والنظام الثقافي القائم على اساس الترف العقلي ، والتعاليم الادبية القائمة على جهل النفس وعدم الاعتداد بها (أي على التصوف الاسيوي الذي يحارب النفس ويقتلها) . والفضائل الاخلاقية القائمة على الزهد والقناعة وانكار الذات والقائمة على افكار اشخاص كانوا يجهلون ماهية الفكر وحقيقة الحياة وطبائع المادة .

ايها الشعب : لا تحقر شأن التعاليم والاوضاع في حياة الامم او موتها ، في رفعتها او سقوطها ، في تماسكها الراسخ او انحلالها السحيق . لان التعاليم هي تنظيمات الفكرة ، والفكرة هي الحياة ، فلا عجب ان كانت التعاليم روح البقاء الحي اذا صلحت .

لذلك نهيب بك ان تزلزل بناء الاوضاع البالي وتعمل من جديد في جو من التعاليم لا يخنقك بانفاسه الفاسدة ، كما يجب ان تقي مجتمعك من كل من لا يفكر بعقلك المتحرر فان للافكار عدوى وخصوصاً المريض منها ، وبذلك يتسرب الانحلال مرة اخرى الى المجتمع من حيث لا شعور ، وقديماً قال المعري :

تثاءب عمرو اذ تثاءب خالد بعدوى فما اعدتني الثؤباء

ايها الشعب : ان العلماء قرروا في فرع « السياسة الطبية » وجوب المحافظة على الصحة العامة ، وبسبيل ذلك قرروا ضرورة عزل المرضى ليتم لهم مكافحة الاوبئة وتحديدها ثم تطهير الوسط منها . وما رآه الطب واجباً في دائرة الصحة ، نرى مثله في دائرة الاجتماع ، فاننا لن نضمن نقاوة مجتمعنا الا اذا كافحنا هذه الاوضاع التي هي اوبئة اجتماعية خطيرة ، وابعدنا اولئك الذين يحملون افكارها لانهم مرضى مسممو العقول ولهم عدوى ذريعة الفتك .

الاديب

رسالة

الى الوفد اللبناني

العائد من سان فرنسيسكو

☆

بقلم الدكتور رئيف ابي اللمع

لم يشعر العالم في التاريخ الحديث بوجود شعب عربي له حقه في الحياة سوى ثلاث مرات ·

المرة الاولى : هي بعد الحرب الماضية ، عندما فتح هذا الشرق العربي عينيه ، وقام بعد استسلام وخنوع عدة اجيال ، يفكك السلاسل والقيود وينزع الى الحرية والاستقلال ·

فكانت ثورة في الحجاز ، وثورة في مصر ، وثورة في العراق ، وثورة في فلسطين ، وثورة في سوريا ، وثورة في لبنان · كأنما هنالك ثوره فكرية سياسية عامة ، بزغت مع الشمس من الشرق وسارت في كل دم ، وملأت كل قلب ، وتغلغلت في كل صدر ، فلم تعد ترى سوى غضبة واحدة او لم تعد تسمع سوى صوت واحد يدوي من اقصاه الى اقصاه : لم استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ؟

والمرة الثانية : هي عندما صحا العرب من سباتهم واستفاقوا من غفلتهم وادركوا ان التخاصم والتناحر والتنابذ والتحاسد هو الذي اضعفهم واذلهم واوقع الوقيعة بهم · فصاروا الى الضعف بعد القوة ، والى الفقر بعد العز ، والى الخنوع والاستعباد والمهانة بعد الرفعة والسلطان والكرامة · فاجتمعوا في القاهرة ورفعوا الخلاف من صفوفهم ، والشك من قلوبهم ، وقلبوا صفحات الماضي ، ووحدوا اهداف المستقبل ، والفوا جبهة جديدة واحدة هي جبهة الجامعة العربية ·

والمرة الثالثة : عندما قامت طائرة جبارة من الشرق تقطع البحر المتوسط والمحيط الاطلسي والقارة الاميركية لتحط رحالها على شواطىء المحيط الهادىء حاملة وفود الامة العربية التي اتت من المشرق تعلن تمسك اقطارها بالحرية والاستقلال ، ورفضها كل انتداب واستعمار ، وايمانها بالشورى ، وعزم ابنائها على المساهمة في بناء عالم جديد شعاره : الحرية والعدل والاخاء والمساواة ·

وكان في مقدمة هذه الوفود وفد لبنان ، فتضامن مع اخوانه اعضاء وفود الاقطار العربية والفوا جبهة واحدة عملت وسعت ، وكتبت وخطبت ، وهاجمت ودافعت ، وادت رسالتها بجرارة واخلاص وايمان ·

لقد حمل وفد لبنان رسالة ابنائه الى العالم الجديد واعلنها بوضوح وجلاء امام ممثلي دول في اكبر مؤتمر عرفه التاريخ ·

وما هي رسالة لبنان ؟

هي ان هناك في شرق البحر المتوسط يوجد قطر صغير ولكنه

قوي . وشعب – قليل ولكنه ذكي ، ومسالم ولكنه ابيّ .

لقد استوطن هذا الشعب لبنان منذ اقدم العصور فتعلم الحرية من اطياره ، والصلابة من احجاره ، والاندفاع من انهاره، والانفة والكبرياء من جباله واشجاره .

فلم يخضع لفتح ، ولم يذعن لظالم ، بل كانت حياته جهاداً مستمراً في سبيل الحرية – يوم لم يكن في الشرق حرية – وكفاحاً قاسياً في سبيل الاستقلال – يوم لم يكن في الشرق من يجرأ على لفظ كلمة الاستقلال .

واللبناني اليوم كلبناني الامس، لا يتنازل عن حريته ولايساوم على كرامته . وما ثورته الاخيرة في وجه الافرنسيين الا دليلا على الرسوخ في عقليته والثبات في عقيدته .

ان عقلية اللبناني لتراها جلية واضحة في رايته الجديدة التي يخفق مع خفقانها قلبه .

هي راية لها ثلاثة الوان .

لون احمر – هو دم لبنان على كف ابنائه ، يبذلونه زكياً سخياً دفاعاً عن حريته واستقلاله .

ولون ابيض – هو رمز قلوب اللبنانيين وحبها للاخاء والسلام .

وارزة خضراء ، خالدة على الدهر ، هي رمز الامل والنمو والثبات .

تلك هي رسالة لبنان السامية التي حملتها الى العالم الجديد ايها الوفد الامين .

ولكنني ارى ان مهمتك لم تنته بعد .

لقد حملت رسالة لبنان الى الغرب . وهناك رسالة ثانية تحملها من الغرب الى الشرق .

لقد رأيت بعينيك سر تقدم الامم ولمست بيدك اسباب عزها وسلطانها .

لقد عرفت ان دعائم الملك اربع : النظام. والعمل. والعدل. والاخلاص .

فاذا تداعت دعامة واحدة تهدم البناء على ساكنيه .

فالحرية دون نظام هي الفوضى .

والحكم دون عدل هو الظلم .

والسياسة دون اخلاص هي الانانية والاستبداد .

والجمود والكسل والتواكل، هي الهرم والتأخر والانحطاط .

لقد رأيتهم هناك يرفعون الدين الخالد فوق مطامح الدنيا الفانية . فيناجون الله ، كل حسب ضميره وعقيدته ، ويجلونه عن ان يصبح اداة للتعصب والعداء ووسيلة للحكم والاستئثار .

لقد رأيتهم هناك ينسون نفوسهم ومطامعهم ويضحون باناينتهم امام الاهداف العليا التي تجاهد في سبيلها الامم . فـلا يجعلون الحكم وسيلة للارتزاق ولا يجعلون الوطنية سلعة للبيع والشراء .

لقد رأيتهم يسيرون الى الامام ، بجد وعزم ونشاط ، تاركين الماضي للتاريخ والمستقبل لله ، محلقين فوق الخرافات والعادات ، آخذين باسباب المدنية الحديثة ، تاركين الوهم والخيال ، وبانين قوتهم على الحقيقة والعلم .

فرسالتك الثانية هي ان تنشر ما رأيت ، وان تبشر بما وعيت كي لا يسير القوم ونحن واقفون ، ولا يعملوا ونحن نائمون . فالعالم عراك ، من خذل نفسه فيه خذلته الناس . ومن تلكأ في الطريق ديس بالاقدام .

وما هذه الحكمة بغريبة عنا . بل هي لنا ومنا . فهناك في قلب الجزيرة ، منذ الف سنة ، ارتفع صوت ما زال دويه يرن في القلوب ، وما برحت حكمته تحير العقول . هو صوت فيلسوف العرب الاكبر علي ابن ابي طالب يهيب بالعرب ويقـول : خلقوا اولادكم بغير اخلاقكم لانهم مولودون لزمان غير زمانكم .

ان لبنان اليوم – كجميع الاقطار العربية الشقيقة – باشد حاجة لابنائه المخلصين يتزعمون نهضته ويقودونه في طريق النظام والعدل والعمل والاخلاص .

والزعامة لا ترتكز على القاب موروثة واموال مجموعة . فليس للزعامة سوى طريق واحد – هو طريق الخدمة والتضحية . وزعماء الامة هم الذين يخدمونها ويضحون في سبيلها ، لا الذين يستخدمونها ويجعلونها ضحية لهم .

فهلموا يابني وطني نقلب صفحة الماضي بما فيها من تنابذ وتناحر، وانانية وطمع ، وكسل وجمود ، وجهل وفساد ، ونبدأ صفحة جديدة لامة في تاريخنا القومي لنبني لنا وطناً كريماً في عيون الاجداد، وعزيزاً في قلوب الاحفاد – فممارسة الاستقلال اصعب واشق من نيل الاستقلال .

رئيف ابي اللمع

عـــود الربيع

✶

جاء الربيع وحرّك الغصنا   أين الربيع وأين ما كنّا

عودي فقد عاد الربيع، وقد   عاد الحمام، وقد تعاتبنـــا

عودي فقد عاد الربيع لنا   همس الربيـــع وغمزه عنّا

انفاسه منـــاً ، ورقّته   منّاً ، وجر ذيوله منـــاً

تدعوك خلف السهل رابية   كانت لنا ولحبّنـــا مغنى

ذكرت شبابينا فما نسيت   قَدَماً ، ولا صوتاً بها رنّا

خضرآء ، مرّ بها الربيع، فما   أحلى، وما اشهى، وما أهنى

اشجارهـــا غُرَف مهيّأةٌ،   بالشمس ، او بغمامة تبنى

جعلت لنا في كل منعطف   حضناً ، وكلِّ مُظلِّل حضنا

✲

يا درب نفح الطيب، وجهتنا   أرض الكناريّ الذي غنّى

يا غصن، يا مضنى بلا سبب   مل حولنا، يا غصن، يا مضنى

يا نرجساً نعسان من وآه   قم من فراش الغنج غازلنا

يا عشب، يا نقش الوهاد، ويا   لجّ المروج وبحرها الأدنى

جئنا بركب الحب ننزله   في دارك الخضرآء — أنزلنا .

امين نخله

هكذا فكر متشائم

بقلم ابي عبابه

لم يعرف العصر الحديث متشائماً حاد التشاؤم بالغ السخر، مثل «ماكس نورداو» بل لعل تاريخ الفكر في كل عصر لم يحفل بمثله ساخراً متهكماً، ويمثل نزعته شذوذاً عن مذهب النزعات المتطرفة منها والمقتصدة. سخر من الانسان — او الدابة المفكرة على حد تعبيره — ومن الحياة والفكر، وتهكم بقيمها جميعاً، وانتهى الى الاستخفاف بالطبيعة البشرية، الضئيلة الملكات، البائرة الآثار. ونظرة في مثل كتبه «اكاذيب المدنية الحاضرة، الغرور، الانحطاط»، تضع امامك الجحوح كله مجسداً في حروف تضطرب بالاعصار. ودرسه وان يكن خطراً نرى ضرورته، فان من الواجب ان نتحسس بمعالجة ارتياب وارتياب حاد، حيال كثرة من زائفات الفكر الى كثرة مثلها من زائفات القيم. فليس مثل الريب هادماً، كما ليس مثله بانياً من جديد.

هو يرى ان الانسانية ما فتئت باحثة عن السعادة ناشدة لها، ومع كدحها الجاهد وسيرها الحثيث نحو الغاية فهي تبعد عنها ثم لا تدنو منها في كثير او قليل.

العلم والمدنية ينتشران في كل ناحية من الارض، وكل يوم يولد يجيئنا باكتشاف جديد يوفر رفاهية الحياة ويزيد في حسنها، وييسر اسباب العيش. ولكن بالرغم من ذلك، نرى النوع البشري اكثر استياء وارتباكاً وسآمة منه قبل توفر هذه الاسباب. فليس في كل العالم المتمدن من لا يملأ جوانب الارض بالشكوى والالم الاسيف، ولو حاول الباحث ان يجد فرداً واحداً راضياً عن الحياة في حالتها الحاضرة وعن الاجتماع في وضعه الراهن لاعياه البحث والتنقيب. وان التنافر بين السلطات الحاكمة والهيئات المحكومة، ومصادمة الاحزاب والنضال القائم بين الطبقات، كل هذه الاحوال من اعراض المرض الغاشي في هذا العصر. ومن مظاهر الاستياء التي تبدو في الامم وتحمل اسم النهلستية والفوضوية هي من اعراض ذلك المرض العام على الحقيقة.

الانقباض يملك نفس الانسان والاستياء يهيجه، وهو اذا لم يهتد الى السبب الذي ينشآن منه ينسبهما الى كثير من الاسباب المنغصة، ويغالي في انتقاد كل مظاهر الحياة الاجتماعية. وعدم الصبر الذي يبدو في شكل ثورة النفس او يأسها يسميه البعض مرضاً عصبياً، او سوداوية او ما شاكل ذلك، والحقيقة انها اسماء مختلفة لحال واحدة هي: ذلك المرض العام.

الادبيات والفنون والفلسفة وعلوم السياسة والاقتصاد، وهي من مبتكرات حكم العقل بعد الادراك، تضفو عليها كلها مسحة تشير الى ذلك المرض الخبيث. وهذه المنتجات الفكرية التي تربك الاجتماع وتمنع الطمأنينة، تؤثر تأثيراً خاصاً في حياة الفرد.. والخوف من تصور الحياة على حقيقتها الصادقة يحمل الانسان على مخاتلة شعوره وضميره، وعلى التغرير بعقله بمؤثرات ومخدرات مختلفة حتى لا يدرك الحقيقة، ولا يحس الا بما يلائم رغبة النفس ويمنع الالم. من الثابت ان الانسان لا يرى الحادث على صورة تتفق تماماً مع الحقيقة الصادقة، بسبب ما في الجهاز الذي ينقل صورتها الى الذهن، من الاختلال او الضعف او الفساد. وتأثر الادراك من الحال التي عرضها عليه الجهاز المصور او الناقل، يحدث فيه بتأثير اجنبي عنه. فاذا احس الانسان سوء حال دائمة وشعر باستمرار تأثيرها المزعج في العقل، فان النفس تتوق الى الاستبدال باخرى اصلح منها. فاذا استعصى البدل، فان العناية تنصرف الى التأثير في العقل ذاته، بمؤثر اجنبي آخر يفضي في درجات: الى اختلال الادراك، ففساد الحكم، فالتأثر على نحو ما لا ينبغي ان يكون مع الحال الصادقة.

هذا هو السبب في رغبة الناس النهمة بالكحول وفي اعتيادهم التسمم بالافيون والمورفين، وبينما تحارب الحكومات في بعض البلاد تجار الحشيش ومدخنيه، حرصاً على العقول من التلف والجنون، اذا بكثير من المتعلمين ورجال العلم والادب في البلاد العريقة بالمدنية ينصرفون الى شرب الكلورال والكلوروفورم والاثير.

وكما ان الانسان ينصرف الى ما ذكرنا من وسائل التخدير لاختلال ميزان العقل ولعدم احساسه بالحقيقة على صورتها الصادقة، كذلك تتهوب الهيأة الاجتماعية كلها من ادراك الاحوال على صورها الاصلية، وتقصد الى اطاشة الادراك وتخديره، لا بتلك العقاقير والاشربة السامة، ولكن بالاوهام والاباطيل وصنوف التغرير والاغواء.

والرغبة في الهرب من الحقيقة وفي افساد العقل، ينشأ عنها سأم الحياة والتوق الى الانسراح منها، لهذا يلاحظ في البلاد المتمدنة ان عدد المنتحرين يزيد بنسبة مضطردة وعوضاً عن دلائل الاستياء التي كانت تبدو في شكل لوعة واستكانة، نرى الآن التأفف

من الحياة والسخط والغيظ تملك نفس كل انسان ، وتجعله – بفضل هذه الوسائل المبتدعة – في حالة تهيج عصبي مستمر ، وتحمل على مضاعفة اسباب الخصومة والشقاء ، وعلى المزاحمة بصورة لم تعهد ازمان الجهل والخشونة ، كما تدل على اقفار القلوب البشرية من الرحمة والعطف .

ان الشكوى من فقدان الخصال الطيبة والاخلاق الفاضلة اليوم ، عالية وعامة . وهي تدل على عرفان الفرد مبادىء سامية وعلى تحديه الجري مع ما يحقق مقتضياتها في كل ادوار حياته ، ولكن الاستياء من الحياة يمنع نمو الخلق الكريم .

فاحتجاب النجمة القطبية واختفاء القطب المتكهرب يجعلان « البوصلة » عديمة الفائدة ، كذلك المرء في الحياة ، اذا فقد المبادىء الخلقية الفاضلة يضل سواء السبيل .

ان الاستياء من الحياة مرض يؤذي الانسان اذي لا ينجع فيه علاج ، فانه يحمل على توهم حقارة كل الموجودات ، فاذا كان لهذا الفكر سلطان قوي على العقل فانه يحبس حركة الانسان عن السعي وبذل الجهد الخالق ، وهذا من الاعراض التي تصحب حالة الموت او الاحتضار حتماً .

ولما كانت كل ثمرات العقل في حالتها الحاضرة من الادبيات والفلسفة وعلوم السياسة والاقتصاد الى النظم الاجتماعية ، تفضي الى الاستياء العام من الحياة ، فليس عجيباً ان تصل الى الآذان انات التوجع ونأمات التألم ، وان تنصرف النفوس والعقول عامة الى رغبة الانقلاب والتغيير ، باخرى تكفل تبديل معالم الحياة وتحمل على سكون النفس واغتباطها .

نعم لا يسلم العقل بان الاستياء العام انفرد به اهل هذا العصر ، فمن الثابت ان الانسان تألم من اسباب الحياة في كل الازمان التي خلت ، وعرف مثل انسان اليوم الشقاء والتعاسة ، فليس يتأتى للانسان ادراك اي شيء حتى حقيقة حسه ذاته الا بالالم . فالرجل اذا وجد في حجرة مظلمة لا يعرف مكان الجدران ولا يحسها الا عندما يصطدم بها ، كذلك التألم الناشىء من مصادمة الحقائق الواقعة لاماني النفس ورغباتها ، هو الذي يجعل الذات تدرك وجودها وصفتها في الوجود .

فاذا كان النوع البشري قد تألم في كل ادوار عمره الطويل ، عند تعارض رغبات النفس وما حال دون تحقيقها ، واذا كان قد دل على الالم بالشكوى وباظهار الاستياء من الاحوال الحادثة المحيطة به ، فمن المحقق ان مقدار الالم لم يبلغ في وقت ما مبلغه اليوم ، كما لم يشمل الاستياء كل النفوس بحال مزعجة مثلما هو واقع في هذا العصر ، ولم تقترن دلائل الاستياء والسخط بالمظاهر الثورية التي تلحظ في كل ناحية الآن .

فالذي حال قبل الآن دون وجود مثل هذه المظاهر ، ودون ثورة الافكار على الاسباب المغرية بالاستياء ، هو تأثير الدين ونشدان النفوس العزاء به . لان السرور والانتعاش اللذين تشعر بهما النفس عند امتلاء القلب بالايمان ، يعينان على احتمال كل الآلام مهما تنوعت ومهما قوي تأثيرها . فالذي يؤمن بالبعث والخلود يتقبل بسرور وصبر كل الآلام الوقتية ، طمعاً بنيل الحياة الخالدة والسعادة المنشودة .

ولكن الدين عندما لم يعد له ذلك السلطان على الناس ، فاخذت الافكار تتزحزح تحت القوة الضاغطة عليها ، وتنشط الى المقاومة ، والى الثورة على كل اسباب الاستياء ، وعدم الرضا بالحياة على اشكالها ومكيفاتها .

بدأت النفوس تتوق الى الاستعاضة عن كل مظاهر الحياة والنظم الاجتماعية ، باخرى تكفل سعادة النوع الانساني . ولم يظهر هذا النشاط في جهة معينة ، ولم تبد تلك الثورة الفكرية حيث يقل الضغط عليها ، وانما هي عامة وضحت مظاهرها في عقل كل بشري وان لم يعرب عنها بالمظاهر المنظورة ، فهي نهضة النوع كله ويقظة الانسانية عامة ، فهل هي مباركة ؟ .

يتيسر للنفس ارضاء رغبتها في هذا الزمن ، بما توفر فيه من نتائج العلم والاكتشاف ومن ثمرات الصناعة الراقية . فالفقير يتاح له الحصول على كثير مما لم يكن يناله ملك في العصور الخالية ، فكيف تتقزز النفوس من الحياة وتسوءها الاوضاع القائمة ؟ .

ليس من ينكر التقدم والرقي وامتلاء الوجود باسباب الهناءة والرفاه ، فليست ثورة النفوس اذن بسبب ندرة هذه الاسباب او صعوبة الحصول عليها . وانما هي من مباينة الظواهر للحقائق ، فما من حال حادثة الا وهي تتعارض مع حقيقة تحكم العقل وشعور الانسان ورغبته الصادقة . . .

هذا بعض من شيء مهد به « نوردار » الى عرض افكاره وتفصيلها ، وهو ايضاً يقربنا منه ويعدنا لسماع كلمته وان مرت دائماً واثارت احياناً . . .

ابو عباده

صيد الهدهد !

قال لي صديقي الطبيب وقد عاد منذ ايام من بغداد :

— سمعت عنك في العراق شيئاً عجباً لم اعهده فيك من قبل، وانا الذي اعرفك حق المعرفة في الظاهر والباطن ، اعرف معدتك وكبدك واعرف قلبك ، واعلم ما ظهر واستتر من اسباب لهوك وعبثك وانباء جدك ووقارك . . ولكني لم اسمع عنك في الشام ما سمعته عنك في العراق ! . .

— خيراً ان شاء الله ! . ارجو الا يذكرني اخواني في العراق الا بالخير فانا والله احمل اطيب الذكريات من ليالي ضفاف دجلة ولا اذكر « فتيان الصدق » الا بالشوق واللهفة والحنان . . .

— ليس في الامر ما يسوءك وانهم والله لعلى العهد ، ولكني سمعتهم يقولون باعجاب انك امهر صياد في الشام والعراق وادق من سدد بندقية الى هدف ! فعجبت لذلك غاية العجب وانا الذي لم ارك في حياتي تمسك بندقية او تحرك زناداً ! : فكيف اكتسبت هذا الصيت الذائع في الرماية ؟ .» ضحكت كثيراً ثم رحت اروي لصديقي تلك الصدفة العجيبة التي جعلتني من امهر الصيادين في الشرق الاوسط ! . . كنت في نزهة مع فريق من شباب دار المعلمين نقطف البرتقــال في رياض « بعقوبة » على ضفاف الديالى — وبرتقــال بعقوبة بشهادة الخبيرين افخر برتقال في الشرق العربي . عندما لمح احد الرفاق هدهداً بديعاً على جدار البستان ، وعلى الرغم من بعد المســافة تناولت من احد الطلاب بندقية بشكل عصا وصممت على ان انتقم لتلك النملة التي اكل الهدهد حبتها ثم وقف في باب سليمان الحكيم الذي خصه الله دون سائر عباده بفهم لغة الطير ، يشكو غــلة في صدره ويقول بلسان شوقي :

مت مــن حبة بُر احدثت في الصدر غلة
لا ميــاه النيــل ترويهــا ولا امواه دجلة

فيجيبه سليمان بلغة الهدهد طبعاً :

مــا ارى الحبة الا سرقت مــن بيت نملة
تلك نار الاثم في الصدر ، وذي الشكوى تعلة !.

لم اذعن لنصيحة الرفاق الذين اشاروا علي بالاقتراب من الجدار ثم الحوا ، فسمع الهدهد اصواتهم فصفق بجناحيه وطار محلقاً ، وفي اقل من لمح البصر انطلق الزناد عفواً من يدي واذا بالهدهد يسقط بين تصفيق الشباب وهتافهم . . .

تناولت الهدهد بيدي اتفحصه مزهواً — هذه اول مرة اشاهد فيها ملك الطيور عن كثب — وسمعت الطلاب يتهامسون فيما بينهم :

— هذا استاذ عظيم في الصيد ! . يصيب الطريدة «على الطائر» وببندقية عصا ! . . .

وعبثاً حاولوا اغرائي بصيد طيور اخرى كانت تبدو لنا بين الفينة والفينة فأبيت مظهراً زهداً كاذباً ، ونمت على المجد او الثقة ، وكانت طلقة واحدة او رمية واحدة من غير رام كافية ليذيع صيتي في عالم الصيد والقنص في العراق ! . .

ضحك محدثي الطبيب وضحكت ثم فكرت قليلا ،وقلت له بشيء من الجد :

— السنا ، يا سيدي الطبيب ، في دنيا الطب من صــائدي الهدهد ؟ . . ينجح احدكم صدفة في معالجة مريض ، فيذيع صيته ويتألق نجمه ، بينما يظل الكثيرون من الاكفاء يطويهم عالم الخمول والكساد ؟ . ونحن في عالم الادب السنا ايضاً من صائدي الهدهد؟ يكتب احدنا في مناسبة ما مقالاً او بضعة مقــالات تصادف استحساناً وقبولاً لدى الجمــاهير فيذيع صيته ويصبح اديباً كبيراً ، وينام على الثقة ، وقد يجود من حين لآخر بحديث او مقــال ، ولكن هذا كله ليس من الادب الصحيح في شيء . الادب يا صديقي الطبيب، رسالة سامية تتطلب انتاجاً متواصلا ونشاطاً متواصلا ودراسات متواصلة في الكتب ولاسيا كتاب الطبيعة الذي لا يكــذب ، والاديب العريق في الادب هو الذي يقف حياته على الادب— على انه مهنة الحياة — فتجد له الروائع الفنية في القصص والنقد وما اليها يتحف بها الجمهور باستمرار، ولو رحت تستعرض ادباءنا وتنظر اليهم هذه النظرة لما صمد كثيرون منهم ، بل لالفيت جلهم مــن صائدي الهدهد ! . .

وبعد فلا تنسَ يا صديقي القارىء ، وانت تطالع بعد اليوم ما تجود به مطابعنا العربية من نتاج ادبي ، حكاية صيد الهدهد ، ولا تنسَ يا صديقي وانت تطالع هذا المقال اني لم اكن يوماً في دنيا الادب اكثر من صائد هدهد ببندقية عصا ! . . .

عبد الله الشتوي

ليلة جعنا ...

بقلم خليل تقي الدين

لم تمر بنا سنة اصعب من تلك السنة ولا شتاء اقسى من ذلك الشتاء . فما كادت تقبل السنة الثالثة من سنوات تلك الحرب المشؤومة حتى بدأنا نشعر بالضيق ونضرب للايام المقبلة اخماساً باسداس . اما في السنتين الاولى والثانية فقد كان بيتنا يزخر بالمؤن من جميع الاصناف . القمح الحوراني الاسمر يملأ بضعة اكياس مسندة الى الجدار . وامي لا ترسل الطحنة الى مطحنة القنا الا مع اجيرنا الهرم الامين ابي محمود ، وتكاد ، لفرط حرصها عليها ، تعدحباتها . فالقمح ، في تلك الايام السوداء ، اغلى من الذهب واعز من الروح . ولا تزال ترن في اذني وصايا امي للاجير وهو يحزم الطحنة على ظهر الحمار : – يا بو محمود خذ هالبشلك اجرة الطحنة ولا تخلي البراك ياخذ اجرته طحين . اوعا يدور الحجر بقمحاتنا احسن ما ينقصو . يابو محمود .. » ويكون بو محمود قد طواه الكوع ، قرب العين ، في طريقه الى قنا بتدين ، وامي ، حفظها الله ، لا تزال تناديه ، وتوصيه ...

كان بيتنا قديماً ، وهو، ككل قديم، متين البناء، عليه جلال العتق . وكانت آيته الكبرى عليّة كبيرة مربعة الشكل امرها عجيب . فهي اذا شئت غرفة للجلوس ، واذا شئت غرفة للنوم . وهي تصلح بهواً للاستقبال ، او مطبخاً او مخزناً للمؤن . والواقع ان فن امي في تدبير المنزل جعل منها كل اولئك في آن واحد ، ولا سيا في ذلك الشتاء فقد كانت العليّة دافئة الى حد بعيد ، بموقدها الكبير القائم في وسطها .

وكان في جدار العليّة المشترك بيننا وبين بيت عمي خزانة حجرية قسمتها امي الى عدة اقسام يؤلف كل منها خزانة مستقلة تسمى كوارة . وبين الكوارة والكوارة فاصل من الحجر والطين . وكانت كلها تفيض بمختلف الحبوب . فهذه كوارة الحمص ، وهذه كوارة العدس ، وتلك كوارة البرغل . واكبرها جميعاً كوارة الطحين . كانت تلك الكوارات ، في السنتين الاوليين مليئة كلها يدفق منها الخير .

وكثيراً ما كنا نتلهى ، انا واخوتي ، باغاظة امي فنفتح فوهة احدى الكوارات فيندلق الحب منها . فتهرع الينا امي وفي يدها اي شي، تقع عليه – المكنسة او عصا ابي ، او قضيب تتناوله من كومة حطب الموقد تلسع به اقفيتنا . ثم تأخذ هي وشقيقتي الكبرى ، وجدتي العجوز في التقاط الحب المتناثر ، واحكام قفل الكوارة . هذا وامي تدعو علينا بالموت ، والبلى ، وترمينا باجمل النعوت : « يا عفاريت ، يا شياطين ، يا بلا مربى ... » لكنها ، مخافة ان يستجيب الله دعاءها، تلحق بكل عبارة تصدر عن شفتيها لا عن قلبها اسم ابليس لتصرف اللعنة عنا اليه . كانت تصيح بي في صوت عال : « يقصف عمرك ! انشالله بعدمك ... » وامامها تضيف ، بصوت منخفض : ... يا ابليس اللعين ...

رويدك امي ولا تخافي ! ليت الله يستجيب كل ادعيتك! اذن لكنا انا واخوتي اسعد خلق الله جميعاً !

وكان في الطابق السفلي من بيتنا « قبو الزيت » وهو قبو انبوب ، عقد متين البناء عليه شيد البيت وعلى الخيرات التي فيه قامت حياة اهل البيت . كان هذا القبو مفخرة والدي، يرحمه الله، ومبعث السعادة والسرور في قلبه . ولا ازال اذكر اي بريق كنت ألمحه في عينيه واية هزة فخر كنت اراها تتراقص على طرفي شاربيه الضخمين كلما انحدر الى قبو الزيت وانا في اثره احمل مفاتيحه الكبيرة السوداء ، المعلقة بخيط ثخين من المصيص املس ناعم لكثرة ما علق به من الزيت . كان ابي يحني قامته الجبارة ليلج باب القبو . اما انا فامرق بين رجليه رشيقاً خفيفاً تكاد لا تحملني الارض ، فتصدمنا ونحن داخلان رطوبة ورائحة قوية حادة، لكنها غير كريهة . ويقف والدي هنيهة ريثما يلف بنظرة سريعة عشرات الخوابي المليئة بالزيت والمصفوفة جنباً الى جنب ، كأنه قائد يعرض جنوده . كان ابي يعرف هذه الخوابي واحدة واحدة ، ويعرف اي زيت يملأ كلاً منها ، وما هو حظه من الجودة . كان يسمي الخابية دغاراً . ويقول لي : هذا الدغار للبيع . زيته حاد لان زيتونه من اول جوله . وهذا اطيب منه قليلا لانه اكل عيانة شتا . وهذا زيت صابون . اخضر وله طعم .. » ، وكان لا بد له من وقفة طويلة عند صف

من الينبوع

من الخوابي الكبيرة ، النظيفة ، الممشوقة القامات على ضخامتها ، كأنها عرائس ، فيكشف عن احداها الغطاء . ثم يغمس سبابته الثخينة ويخرجها تقطرسائلاً صافياً كالذهب . ثم يرفعها فوق الخابية ويدور على نفسه حتى يواجه النور الدافق من الكوة ، ويروح ينعم برأي خيط دقيق متألق وهاج ، حتى اذا انقطع الخيط ، وخف تساقط النقط ، لوى والدي اصبعه بحركة رشيقة ، كأني اراها الان ، ومر سبابته تحت انفه يتنشق عبيراً فواحـاً « يشق القلب » على حد تعبيره ، ثم غيب اصبعه في فه واخرجهـا نظيفة وراح يتلمظ تلمظ الشارب الثمل ، وهو يهز راسه ، ويرفع حاجبيه ويقول : اشرف زيت خلقه ربنا . ثم ينتبه الى وجودي فيخاطبني بقوله : في كل دغار قنطار . ما بينقصو درهم . من زيتونات « خلة العميقة » . اطيب زيتون في الكورة . منقايين حص حص . . . »

*

كان ابي قد قدر لتلك الحرب سنتين . فاخطأ في حسـابه سنتين . واي امرىء لا يخطىء في حساب الحروب . وفي بدء السنة الثالثة ، حينما بدأت حوادث هذه القصة هاجنا وباءان : سفـاح الاتراك والجراد . كانت الليلة قاسية شديدة الظلمة والريح تعول في الخارج وتكاد تدك المنازل وتحطم النوافذ وتقتلع الاشجار . وكان الثلج قد تساقط بكثرة في اليومين السابقين حتى غطى السطوح وسد المنافذ والطرقات . وراح الاهلون ، في فترات الصحو القليلة يجرفون الثلج عن السطوح . وكنت في اليوم السابق قد ربحت رهاناً بيني وبين ابي ففزت منه بريال مجيدي ابيض الوجه املسه . ذلك اننا كنا جالسين حول الموقد قبيل الظهر حين طرق اسماعنا صوت شباك البهو الخارجي يفتح ويغلق بعنف . قـال ابي : من يقفل ذلك الشباك قبل ان تحطمه الريح ؟ فانبريت له . فضحك شقيقي الاكبر . وابتسمت اختي . فتحمست وغاظني هزؤهما بي . اما امي فلم تقبل بل قالت يذهب بو محمود . لكنني اصررت على القيام بالمهمة فقال والدي : اذا اغلقت الشباك فلك مني ريال مجيدي . وكان علي ان اجتاز فناء خارجيا في الهواء الطلق لاصل الى البهو ، وقد امتلأ الفناء بالثلج المجروف عن السطح فغصت فيه الى الوسط . لكنني مضيت مستعيناً بكلتا يدي ، وضحكات اخي واختي تلسعني في ظهري وتقوي عزيمتي واحسست ان انفي يكاد يطير من وجهي وان اطرافي تكاد تنفصل عن جسدي من شدة الصقيع . لكنني بلغت البهو ودخلته واحكمت قفل النافذة وعدت راجعاً على اعقابي . واني لفي منتصف الطريق اذ سقطت علي كومة من الثلج جرفها ابو محمود عن السطح . ولا ادري — الى اليوم — افعل ذلك متعمداً باشارة ابي او شقيقي ، ام حدث ذلك صدفة . فطمرني الثلج فصرخت صرخة هرعت عليها امي وابي ومـن في البيت واخرجوني من قبري الابيض وانا اكاد اموت برداً ودنفاً . وقبضت ، مع ذلك قيمة الرهان . . .

في تلك الليلة نمت في فراش امي ، من الخوف ، ومن البرد . وقبيل الفجر ايقظتني ضجة وضوضاء في البيت فاول ما وقع نظري عليه اختي وهي قابعة في احدى الزوايا تبكي وتنتحب . كان قد طرق بابنا عند الفجر جنود السفاح التركي واستاقوا ابي وهـو في ثياب النوم . فتعلقت به امي فابعدوها عنه باعقـاب البنادق . ثم مضوا به ونحن نبكي ونسائل امنا : اين ذهبوا بابينا يا اماه؟ . . .

وعندما طلع النهار اجتمع في منزلنا اهل القرية جميعاً واخذ كل يبدي رأيه . وسمعت ، فيما سمعت من كلام ، الفاظ : جمال باشا . عاليه . المشانق . المجلس العرفي . فلم افهم شيئاً . لكنني قدرت ان الامر على جانب من الخطورة كبير ، وانني ربما حرمت والدي الى الابد .

كان السفاح قد نشر الهول والرعب في انحاء لبنان ، وعلق على المشانق من علق من الاحرار ، وزج في غياهب السجون ونفى وشرّد عدداً كبيراً من ابناء لبنان .

لكن امي لم تضع وقتها عبثاً . بل قامت لساعتها فكتبت رسالة طويلة سلمتها الى اخي الكبير ، وارسلته مع ابي محمود وأحد ابناء قريتنا الاشداء ، الى جدي ، والد امي ، وكان رجلاً كبير النفوذ ذا بسطة وثروة وجاه ، يقطن ناحية « الجـرد » في بلدة لا تبعد كثيراً عن عاليه ، بينها وبين قريتنا مسيرة نصف نهار . فبلغها اخي بعد الظهر وسلمه الرسالة واخبره بما حدث .

وقضينا الليل كله ننتظر اياب اخي ورفيقيه ، فلمـا عادوا ، في اليوم التالي ، اخبرونا ان ابي سيق الى عاليه ليحاكم امام المجلس العرفي ، وكان مجرد مثول متهم امام ذلك المجلس ، في تلك الايام ، يعني الموت المحتم .

اما جدي ، رحمه الله ، فقد كان يعرف الدواء الذي تعالج به مع السادة الاتراك امثال هذه القضايا فقضى اسبوعاً متنقـلاً بين بيروت وعاليه حتى تم له تجهيز خمسمائة ليرة ذهبية وهاجة صفراء فقدم بها عاليه واقام فيها يعمل على انقاذ ابي .

واستطاعت الخمسمائة الصفراء ان تفك حبل المشنقة عن عنق

ابي ، لكنها لم تستطع ان تبرئه . فحكم عليه بالنفي لتآمره على « الدولة » والعمل على تحرير لبنان من ربقة الاتراك وسيق الى مجاهل الاناضول .

كان بيتنا ملآن فبعنا كل ما فيه لنحشو بالذهب جيوب السفاحين مخافة ان يشنقوا ابي .

وكانت الارض املنا الاخير فهاجمها الجراد فأكل الاخضر واليابس وباض في الارض وفقس واحتل حتى حديقة البيت .

وكانت اميركا قد بعدت عنا ، واموال عمي الكثيرة لا تفيدنا شيئاً فالبحر مقطوع بيننا وبينه .

وفي ليلة من ليالي تلك السنة الثالثة جعنا .

لكن فن امي لاينضب، وحكمتها لا تكل عن الاختراع

كنت في الخامسة من عمري ولم اكن افهم معنى الجوع . لكني في تلك الليلة كشفت بيدي عن معجن الخبز فوجدته فارغاً . ومن عادتي ان اقلب الارغفة فيه حتى اختار منها احمر الخد ، واهرع الى جدتي لتصنع لي عروساً بلبن آكلها وانا اركض والعب . فصحت بامي : بدي آكل . وما عشت لا انسى تلك النظرة اليائسة التي غمرتني بها لكنني اذكر انها احتضنتني وقالت لي : طول بالك يا تقبر امك . ثم قامت الى المطبخ تعد عشاء تفتق عنه حنانها الرائع .

فلحقت بها وانا احس في جسدي شيئاً لا اقوى على دفعه . اكان ذلك هو الجوع ؟ ربما . لكنه جديد علي . وهناك رأيتها تطبخ على النار شيئاً بالزيت . وهي تداعب شعري بيسراها وتحرك بيمناها ما على النار وتهدى، من روعي . وبعد هنيهة لم اعد اسمع نشيش الزيت على النار . فادركت ان الطبخة قد نضجت . فحاولت ان امد يدي اليها فمنعتني امي مخافة ان تحترق اصابعي .

ثم قمنا جميعاً الى مائدة الطعام . فجلسنا . واكلت انا وحدي من دون امي وشقيقتي وجدتي وشقيقي الاكبر . اما ما اكلت فكان طحين شعير بالزيت ، وقد اضيف اليه دبس خروب . اكلته بالملعقة ، بلا خبز . لان امي حفظها الله اقنعتني تلك الليلة ان هذه الاكلة لا تؤكل بالخبز . وشبعت ونمت .

اما الباقون من اهلي فلم يأكلوا شيئاً لانني لم ابق على شيء ، وعرفوا تلك الليلة معنى النوم على الطوى .

خليل تقي الدين

(من كتاب « العائد » الجاهز للطبع)

الأديب

✱

– لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير) .

– تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :

في سوريا ولبنان : ١٢ ليرة لبنانية .

في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ما يعادلها ترسل حوالة بريدية دولية او حوالة على مصرف في بيروت

في فرنسا وتوابعها : ١٦ ليرة لبنانية

– الادارة غير مسؤولة عن الاعداد التي تفقد في البريد

– احتفظت الادارة ببعض اجزاء السنة الاولى والثانية والثالثة فمن شاء من هذه الاجزاء فليطلبها وثمن الجزء من السنة الاولى ليرتان ومن السنة الثانية ليرة ونصف ومن السنة الثالثة ليرة .

– تدفع الادارة ليرتين ثمن النسخة الواحدة من الجزء الثاني من السنة الرابعة ١٩٤٥

– تطلب مجموعات الاديب من الادارة بالثمن التالي :

مجموعة السنة الاولى ١٩٤٢ ٣٥ ليرة

مجموعة السنة الثانية ١٩٤٣ ٢٥ ليرة

مجموعة السنة الثالثه ١٩٤٤ ١٥ ليرة

– المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .

✱

ادارة الاديب : شارع الاحرار ، غربي ساحة الدباس

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

سكرتير التحرير : بهيج عثمان

المدير الفني : مختار شملي

◆

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت – لبنان

الجنـــة الضـــائعة

للشاعر التونسي المرحوم ابي القاسم الشابي

كم من عهود عذبة في عـدوة الوادي النضير
فضية الاسحـار مذهبة الاصـائل والبكور
كانت ارق من الزهور . ومن اغاريد الطيور
والذ من سحر الصبـا في بسمة الطفل الغرير
قضيتهـا ومعي الحبيبة لا رقيب ولا نـذير
الا الطفولة حولنـا تلهو مـع الحب الصغير
ايام كانت للحيـاة حلاوة الروض المطير
وطهارة الموج الجميل . وسحر شـاطئه المنير
ووداعة العصفور . بين جداول الماء النمير
ايام لم نعرف من الدنيـا سوى مرح السرور
وتتبع النحل الانيق وقطف تيجـان الزهور
وتسلق الجبل المكلـل بالصنوبر والصخور
وبناء اكواخ الطفولة تحت اعشاش الطيور
نبني فتهدمهـا الريـاح فـلا نضج ولا نثور
ونعود نضحـك للمروج والزنـابق والغدير
ونخاطب الاصداء . وهي ترف في الوادي المنير
ونعيد اغنية السواقي وهي تلغو بـالخرير
ونظل نركض خلف اسراب الفراش المستطير
ونمر مـا بين المروج الخضر في سكر الشعور
نشدو ونرقص . كالبلابل . للحياة وللحبور
ونظل ننثر للفضـاء الرحب والنهر الكبير
ما في فؤادينا من الاحـلام او حلو الغرور
ونشيد في الافق المنور مـن امانينـا قصور
ازهى من الشفق الجميل ورونق المرج النضير
واجل من هذا الوجود وكل امجاد الدهور . .
ابدا . تدللنا الحيـاة بكل انواع السرور
وتبث فينا من مراح الكون ما يغوي الوقور
فنسير . ننشد لهونـا المعبود في كل الامور
ونظل نعبث بالجليل مـن الوجود وبـالحقير
بالسائل الاعمى . وبالمعتوه . والشيخ الكبير
بالقطة البيضاء . بالشـاة الوديعة . بالحمير
بالعشب . بالفنن المنور . بالسنابل بالسفير
بالرمل . بالصخر المحطم . بالجداول . بالغدير
واللهو والعبث البريء الحلو مطمحنا الاخير
ونظل نقفز . او نغني . او نثرثر . او ندور
لا نسأم اللهو الجميل . وليس يدركنا الفتور



فكأننـا نحيا باعصاب مـن المرح المثير
وكـأننـا نمشي باقدام مجنحة تطير
ايام كنا لب هذا الكون . والباقي قشور
ايام تفرش سبلنا الدنيـا باوراق الزهور
وتمر ايام الحياة بنا . كاسراب الطيـور
بيضاء . لاغية . مغردة . مجنحة بنور
وترفرف الافراح فوق رؤوسنا انى نسير!

*

آه تواری فجري القدسي في ليل الدهور
وفني . كما يفنى النشيد الحلو . في صمت الاثير
اواه ! قد ضاعت علي سعادة القلب الغرير
وبقيت في وادي الزمان الجهم ادأب في المسير
وادوس اشواك الحياة بقلبي الدامي الكسير
وارى الاباطيل الكثيرة والمآثم والشرور
وتصادم الاهواء بالاهواء في كل الامور
ومذلة الحق الضعيف وعزة الظلم القدير!
وارى ابن آدم سائراً في رحلة العمر القصير
ما بين اهوال الوجود . وتحت اعباء الضمير
متسلقاً جبل الحياة الوعر . كالشيخ الضرير
دامي الاكف . ممزق الاقدام . مغبر الشعور
مترنح الخطوات ما بين المزالق والصخور
هالته اشباح الظلام . وراعه صمت القبور
ودوي إعصار الاسى . والموت في تلك الوعور!

*

ماذا جنيت من الحياة ومن تجاريب الدهور
غير الندامة والاسى واليأس والدمع الغزير ؟
هذا حصادي من حقول العالم الرحب الخطير
هذا حصادي كله في يقظة العهد الاخير

*

قد كنت في زمن الطفولة والسذاجة والطهور
احيا كما تحيا البلابل والجداول والزهور
لا تحفل الدنيا . تدور باهلها او لا تدور
واليوم احيا مرهق الاعصاب مشبوب الشعور
متأجج الاحساس . احفل بالعظيم وبالحقير
تمشي على قلبي الحياة . ويزحف الكون الكبير
هذا مصيري . يا بني الدنيا . فما اشقى المصير

معاهد «تحت السنديانة» في لبنان واثرها في البعث

بقلم كرم ملحم كرم

٥

صفاء الجو ، واخضلال البيئة ، من حوافز الطرب . والطرب ادب مخمور . فلولا الكأس لم تكن النشوة . ولولا النشوة لم يكن الشعر . ولسنا نبالي أكان هذا الشعر فصيحاً ام نطق بلسان العامة . فالمهم عندنا ان يقبل حالي العود ، فتيق البيان .

وان صرخة « آه ! . . » في غمرة المسرة لهي عندنا في مقابل قصيدة عامرة . واللبناني اكثر من الآهات والانّات في صروده . وبحث عن الكلمات يزفها الى التأوه والانين فلقيها وكساها المعنى البليغ ، الصادق الرونق ، الشارد في متناهي الفجاج .

ولا بدع ان تتأجج نفس اللبناني بنضارة المقال فالسماء الصافية العاقدة عليه ظلالها وهبته صفاء الروح ، وفوات الطبيعة الضاربة عليه نطاقها اشعلت نفسه بلهبة المرح ، فاندفع الى الانشاد وحفل لبنان بالمعنى والقرادي والعتابا واقد اقبل على اجتلاء هذه الضروب من الشعر العامي المستوون على فضالات من العلم وغير المقيمين من العلم على ذرة . وكان لا بد لهذه النهضة المتفاقة من صقل . ومن لها يصقلها ؟ . . . العلم ، العلم وحده . فقامت معاهد « تحت السنديانة » تنشد الترقي : فلم يبق من كنيسة الا حفلت بالكتاتيب .

وفي كل قمة من قمم لبنان دير رحيب . وهذه الاديار الملتفة بعزلتها ، الشحيحة بوحشتها ، نفثت العلم في الصدور تعتمد فيه لغتها الاصيلة ، لغة عدنان ، فيما كانت سائر الارجاء العربية تخلع عنها اللسان العربي وتستبدل منه اللغة التركية ، لغة السلاطين ، والناس على دين ملوكهم ، فلا عجب !

*

وكان للسريانية واليونانية مقام سابق فتدحرجتا عنه وفرضت الاديار اللبنانية ترجمة التوراة والاناجيل بلغة الضاد . وترجمة التوراة والاناجيل كانت مزمار البعث . فتحفزت اللغة العربية لخلع اكفانها بعد الوأد الطويل .

وتلفت الامير بشير الثاني ، حاكم لبنان منذ اواخر القرن الثامن عشر ، الى من يتولى الانشاء في ديوانه فاختار نقولا الترك ، وهو يومذاك صاحب شهرة واسعة في سبك الشعر وحبك المعلقات . ونقولا الترك من تلاميذ مدرسة « تحت السنديانة » ، واقد اعجبه في بطرس كرامه حسن النظم ، وسلاسة النثر ، فاحتضنه في ديوان الامير ، حتى اذا ما نمت في الفتى قوادمه وخوافيه انطلق في وسعة الشهابي يغرد ويطير . وقرأ الشيخ نصيف اليازجي للترك وكرامه فشاقه الاقتداء بهما . وكان في عنفوان العمر ، يريده ابو على الطب — والطب في ذلك الحين وراثة ، يتناقله البيت الواحد جيلاً عن جيل — الا ان اليازجي الفتى ابى ان يماثل اباه في الطبابة ونفسه تحن الى الادب الصرف ، فانضم الى الترك وكرامة في ديوان الامير .

وبلغ الشيخ نصيف في الشعر والنثر القمة ، فوطد الادب العربي على ركن ركين . فما بحث عنه ادب الضاد من دعامة يهدأ عليها في طوافه المضطرب اهتدى اليه في نصيف اليازجي . فشيد الشيخ الاسس وبنى وشخص اليه الجيل كمثال يحتذى . هل خلق ؟ . . لقد ابتكر المعاني ، انما في فنه فكان من اتباع المتنبي في النظم ، ومن السائرين في مضمار الهمذاني والحريري في النثر . على انه وطد القاعدة ووثق الطريق ، وهدى من عاصره ، وجرى بعده الصراط السوي .

وبعد نفي الامير بشير الثاني ، وانقلاب النظام اللبناني في سنة ١٨٦٠ ، اندفع الادب العربي في لبنان على جواد مرخي العنان ، جموح . فمالت دور البعثات الاجنبية ، المستقرة في لبنان للتبشير ، الى من يعيد النظر في ترجمات التوراة والاناجيل . فقد فرض روح العصر الترقية في البيان وفي الطباعة . ومن للمهمة سوى تلاميذ « تحت السنديانة » ؟ . . . فانبرى للعمل الخطير المعلم بطرس البستاني . فتولى والسيد « فانديك » الاميركي ترجمة التوراة للمبشرين الاميركان . وعرضا ترجمتها على الشيخ نصيف اليازجي يدقق فيها . وفي ما الطه انصرف احمد فارس الشدياق الى ترجمة التوراة لاحدى البعثات الاميركية . واحس الاباء اليسوعيون في بيروت بان ترجمة كتاب التوراة المطبوع تحت اشرافهم غير وافية فلجأوا الى الشيخ ابرهيم اليازجي لسد الثلمة ، وهو ابن الشيخ نصيف . ولما اصطدموا بالشيخ ابرهيم مالوا الى الشيخ سعيد الشرتوني في ضبط لغة العهد الجديد .

*

وطلعت المعاهد الكبرى فانتقل طلاب العلم في لبنان من ظل

« تحت السنديانة » الى الصروح الفخمة يجلسون فيها الى المناضد. فشيد معهد عين ورقة، فمعهد عينطورة، فمعهد غزير، فقرنة شهوان، فالمعهد الوطني للمعلم بطرس البستاني، فالمعهد الاميركي. وجاوز الادب نطاق ترجمة كتب الدين. فعكف المنشئون اللبنانيون على وضع كتب قواعد اللغة مسترشدين بكتاب « بحث المطالب » للمطران جرمانوس فرحات.

وكما تنافس الاميركان واليسوعيون في ترجمة التوراة والاناجيل وطبعها تنافسوا في ميدان العلم. فاذا طبع اليسوعيون كتاب صرف ونحو طبع الاميركيون كتاباً من هذا الطراز. واذا مال اولئك الى مقامات الهمذاني يتفننون في اعدادها ونشرها، عمد هؤلاء الى مقامات الحريري يذيعونها بتنميق واتقان. فمن هنا خطوة ومن هناك خطوة واذا النهضة في ارفع ذروة، فانتشر العلم وتكاثر العلماء.

وابى احمد فارس الشدياق، وهو ينشىء «الجوائب» في استانبول، الا ان يجاري القوم في الزحام. فطبع في مطبعته كتب الادباء الاولين مقتدياً باليسوعيين والاميركيين في بيروت. واصبح ما انشأ ابن المقفع والجاحظ وابو الفرج الاصبهاني كتباً شائعة في مختلف الايدي، وكذلك دواوين الشعر، فكأن خزانة الحكمة الجامع فيها هارون الرشيد اثمن الكتب وابقاها اضحت نهباً مقسماً على الطالبين.

*

ولم يقف ادباء القرن التاسع عشر عند كتب الصرف والنحو، بل عمدوا الى المعاجم ينظمونها. والمعاجم مثل فيها التنافس دوراً قصياً. فما وضع المعلم بطرس البستاني « محيط المحيط »، وقد استقاه من « القاموس » للفيروزابادي، حتى اومأ اليسوعيون الى الشيخ سعيد الشرتوني ان عليك بمعجم عديله، فاخرج «اقرب الموارد». واختصر المعلم جرجس همام التفاسير والشروح فاهدى الى المطبعة الاميركية « معجم الطالب ». وما برح الاميركيون ظامئين الى معجم يماثل « محيط المحيط » و « قرب الموارد » حتى ظفروا بالشيخ عبدالله البستاني، فصرف آخر ايامه في اعداد « البستان » و « فاكهة البستان ».

وهكذا اقتلعت الحجارة ورصفت للبنيان. فالعمل الضخم، الجبار، تولاه ابناء معاهد « تحت السنديانة » الجبارة. فالاثر كما يبدو منه خطير في جلالته. ومن الصعب ان يقوم بيننا في هذه الاثناء من يقدم عليه، الا ان تكن ثمة دولة تهيم بالبذل والانفاق شأن الدولة المصرية في تجهيزنا بالكتب القديمة، الانيقة المظهر، النفيسة البيان.

وان نتعجب من امر فاننا لنتعجب من جرأة اولئك الاقدمين على التأليف والطباعة. فاليازجي الاب ملأ المكاتب بدواوينه ومقاماته ومؤلفاته في اللغة والصرف والنحو. وبطرس البستاني اقدم بنفسه على ما تتردد دولة أيّدة في الاقدام عليه. فانشأ « الجنة » و « الجنينة » و « الجنان »، و « محيط المحيط »، و «دائرة المعارف ». وتهالك احمد فارس الشدياق على التأليف حتى انسجمت له من قلمه مؤلفات جسام. ومن يجهل « الساق على الساق في ما هو الفارياق »، و « الجاسوس على القاموس »، و « كشف المخبا في احوال اوربا »، و « احوال مالطة »، عدا مقالات « الجوائب » ودواوين الشعر ؟

وعلى هذه المذخورات شيد من اقبل على اثر هذا الرعيل. فالشيخ ابرهيم اليازجي غرسة ابيه، وسليمان البستاني والشيخ عبدالله البستاني من تلاميذ المعلم بطرس. وهذه المدرسة نفسها انشأت اديب اسحق، ومارون النقاش، ونجيب الحداد، وخليل مطران. واقبل تامر الملاط، وامين تقي الدين، وشكيب ارسلان، وشبلي الملاط، وبشاره الخوري، والياس فياض، ونقولا فياض، وجبران خليل جبران. وجميعهم ارتشفوا العلم ممن سخا به عليهم من تلاميذ « تحت السنديانة »

وقافلة اليوم، قافلة النشء النامي، تستند الى مؤلفات من غذتهم معاهد « تحت السنديانة ». فاننا لننقل علوم اللغة كافة عنهم. وقد نكون نخلو ممن يجاريهم في النسج الادبي على وجهيه، سواء في الشعر او في النثر. فليس بيننا من يملك منعة الشيخ ابرهيم اليازجي، ولا من يتفنن في ضروب الشعر تفنن ابيه. وهل من يقوى على مجاراة احمد فارس الشدياق في سخره وسلاطة لسانه ؟

ان الجيل الطالع ليعتمد في البنيان حجارة هذا السلف الكريم. فيستمدها من المقلع نفسه ويشيد ادبه. ولكن اي كتاب وضعناه ينافس « مجمع البحرين» او« الساق على الساق في ما هو الفارياق»؟. ففي الكتابين من القوة ما تهون دونه اقلام الجيل الجديد فالجيل الجديد مضطرب القدم في الخلق والابتكار. مواليده هزيلة، عجاف. على حين ان السلف انشأ وهو على خلو من مستحدثات العلم الطريف وممهدات السبل الى الطبع والنشر. فالموهبة جرته الى المضمار، لا الحاجة اليه، ولا البيئة. اما اليوم فكل سعي منا للتشييد لا يجود بسوى المستضعف حيال موفور الامس الضخم، كأننا لا نزال حيال معجزة الاهرام في النحت والتعمير.

كرم ملحم كرم

يوليوس قيصر وشكسبير

بقلم الدكتور نقولا فياض

٥

اعظم ملك يكتب عنه اعظم شاعر ولكن لا لتمجيده والتغني بانتصاراته فهو يتبع التاريخ دون ان يتقيد بالتاريخ. يوليوس قيصر، الذي فاق انيبال والاسكندر فكان اول من استولى على الرين والاوقيانوس، وفرض الجزية على جرمانيا وبريطانيا وبسط سلطانه فوق آسيا وافريقيا، وافتتح اسبانيا وبلاد الغال، وانتصر على «فرسنجتوريكس في الزيا Alésia وعلى فرناس في Zéla وبطليموس في الاسكندرية وبومباي في « فرسال » ومشى من نصر الى نصر حتى دفع كاتون الى الانتحار واوقع العالم في العبودية — ينظم فيه شكسبير رواية تمثيلية لا ليظهر بطولته ويشيد بمزاياه ويعدد اعماله وفتوحاته فهي في نظره لا شيء امام الغيرة الوطنية والعدل والنزاهة التي كان يتحلى بها قاتله بروتوس. فالرواية تحمل اسم القيصر غير ان الدور الاول فيها لبروتوس، والاهمية ليست لذاك القائد العظيم الذي افتتح ثمانمئة بلد ودوّخ ثلاثين امة وعبأ للحروب ملايين من الجند بل لهذا المواطن المحبوب من الشعب الذي قال عنه المؤرخ بلوتارك انه كان اكرم الناس خلقاً واصفاهم شيمة واعفهم لساناً واقواهم جناناً.

ان الذي حمل شكسبير على قلب التاريخ في علاقة الاشياء والحوادث بعضها ببعض، اذا جاز لنا هذا التعبير يرجع الى سببين الاول ان شكسبير كان شاعراً انسانياً فهو لا يفصل بين وظيفة الشاعر وواجبات الانسان ولا يلتمس الفن لاجل الفن وحده بل يرى في الشعر رسالة اصلاح وتهذيب بمناصرة الحق ومحاربة البطل وما المسرح في نظره سوى مرآة تعكس للمجتمع فضائله وعيوبه والغاية منه لا تقف عند تسلية الجماهير بل تتعداها الى تنوير الاذهان وارشاد النفوس بعرض حياة ابطاله عرضاً يقصد منه الى الحكم لهم او عليهم واستخلاص العبرة النافعة والموعظة الكبرى ولهذا تجد الفلسفة في اقواله تنبع من كل جانب وهي موحاة من حالة الاجتماع والبيئة التي عاش فيها ومن الصعب ان تمر برواية له لا تشير الى بعض مواطن النقص والفساد وتهور الاخلاق التي عاش فيها ذلك الجيل ولا تكاد فيها مغامزه ليخلص منها الى مغزى ادبي او درس اجتماعي.

في رواية هملت مثلاً يريك خطر التردد في الرأي عندما يرتفع صوت الواجب وفي الملك لير يظهر التباين بين سلطة الملك الزائلة وسلطة الاب الطبيعية والاخطاء التي تتعرض لها الثانية اذا تحكمت بها الاولى، وفي اوتلو يكشف لك عن اعماق الهاوية التي تحفرها يد الغيرة العمياء، وفي « كما يروق لك » ينحي باللائمة على حقوق البكورية التي ما برحت طوال القرون الوسطى عاملة في انكلترا على تضحية الاخوة في سبيل مصلحة البكر. وفي كل شيء حسن اذا حسنت نهايته يطعن في امتياز الطبقات ويجبر الارستوقراطية على الاتحاد مع الشعب وفي تاجر البندقية يحارب التعصب الديني بتزويجه مسيحياً من ابنة يهودي وفي يوليوس قيصر يناهض الاستبداد وهنا نصل الى السبب الثاني في ما رمى اليه شكسبير بانزال هذا العاهل العظيم عن عرش التاريخ فان الشاعر لم يكن في هذه الرواية الا معبراً عن الشعور العام السائد في عصره وهذا الشعور يختلف كل الخلف عن شعور العصور الوسطى لان الافكار كانت قد تطورت تطوراً كبيراً في الخمسمئة سنة الاخيرة فتبدلت اراء الناس في السلطات والعقائد ودبت في نفوسهم روح جديدة فيها شيء من التمرد والخروج على التقاليد القديمة وهذا ما نتبينه في اجلى مظاهره اذا قابلنا بين ما كتبه شكسبير وما كتبه دانتي الثلاثمئة سنة قبل شكسبير في كتابه «الكوميديا الالهية».

يهبط دانتي الجحيم بصحبة الشاعر فرجيل وبعد ان يجتازا معاً الحلقات الثمان الاولى من جهنم يصلان الى الهوة التي يقيم فيها قايين قاتل هابيل ثم نراهما يتقدمان على بحيرة من الجليد يرتعش بين امواجها المتجمدة القتلة والسفاحون الذين عرفهم في حياته فهنا الاخوان البرتي وقد جمد البرد دموعها فاصبحت كالكفن لها، والى جانبها ينتفض فوكاسيا قاتل عمه، وموردك الذي قتله ابوه لانه حاول هو ان يفتك به ومسكروني الذي ذبح ابن اخيه ليسلبه ماله، وهناك شيخ ممدود على ظهره فوق الامواج المتبلورة هو الراهب منفرودي الذي قتل كل انسبائه في وليمة اعدها لمصالحتهم. وبعد ان يمر الشاعران بهذه الاشباح القاتمة يتابعان السير وفرائصهما ترتعد من البرد والخوف الى ان يقع بصرهما على لوسيفروس رأس الابالسة وقد بسط ظله الجبار على ذلك الاوقيانوس الجليدي الذي قذف به اليه الغضب الالهي. لقد تحول جمال هذا الملاك الساقط الى قبح فظيع وصار امبراطور مملكة الالام كما يسميه دانتي اشبه بالخفاش له ثلاثة وجوه تنبسط عليها ستة اجنحة، وفي كل وجه فم

يدق على الدوام ويطحن تحت اسنانه واحداً من اشقى المحكوم عليهم باللعنة الابدية ففي الفم الاول يوداس الاسخريوطي ، وفي الثاني بروتوس وفي الثالث كاسيوس رفيق بروتوس . وبعد هذا المشهد يأخذ الليل بالهبوط فيصعد الشاعران وقد رأيا ما ارادا رؤيته .

نرى ان الشاعر الايطالي في ذلك المنفى الجهنمي الذي اخترعه خياله قد اختار لقاتل القيصر عقاباً لا يختلف في الشدة عن عقاب الذي سلم المسيح الى اعدائه فقاتل الملك عنده كقاتل المسيح ولا فرق في الذنب بين من خان السيد المسيح ومن خان ملكاً او امبراطوراً . ولا عجب فان دانتي عبر عن فكرة زمانه وجيله فان القرون الوسطى في ايمانها الكاثوليكي والامبراطوري لم تكن تميز بين من يعتدي على مؤسس المملكة ومن يعتدي على مؤسس الكنيسة والدم المراق على قدمي تمثال بومباي لا يقل قيمة عن الدم المسفوك على الجلجلة لان سلطة القيصر على الارض تمثل عندهم سلطة المسيح في السماء . وكيف لا يخضع العالم المسيحي لذلك العهد لعظمة القيصر وقد اعترف بها المسيح نفسه فقال اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ؟ ألم يكن هذا القول تأييداً لسلطان القيصر ، ومصداقاً لاغتصاب الفاتح واستحساناً لعبودية الرومانيين الذي حرمته الالهة وغفراناً لانتهاكه حرمة الجمهورية ، وحكماً قاطعاً على اعدائه من انصارها ؟

هكذا كانوا يفسرون الانجيل في القرون الوسطى فكانت النتيجة تقديس اسم القيصر بقدر ما كان اسم اعدائه ممقوتاً ، وما برحوا طوال الف عام واكثر يجافون ذكر بروتوس كما يجافون ذكر يوداس .

ثم جاء عصر الانبعاث فقامت الثورة على سلطة الملك كما قامت على سلطة الكنيسة وافضى الجدل في الدين الى الخصام في السياسة وقدّر لشاعر بروتستانتي ان يعلن الثورة في الميدان الاجتماعي كما اعلنها قس بروتستانتي في الميدان الديني هذا باستناده الى النصوص المقدسة وذاك الى التاريخ فقد قارع لوثر البابا والتوراة على لسانه وحكم شكسبير على القيصر وبلوتارك في طيلسانه .

ولم يكتف المفكر الحر ان يحكم على القيصر بل اراد الانصاف لبروتوس هذا القاتل الذي بهظته لعنة القرون الوسطى . لقد نهض به شكسبير وانتشله من ذلك الحكم الجائر المشين واستحضر بسحر قلمه تلك الصورة المنسية التي زجها دانتي في اعماق جحيمه ، ورفعها الى مصاف الابطال بين هتاف الاجيال الجديدة

فاذا انت قرأت رواية يوليوس قيصر لشكسبير تشعر بالاعجاب الشديد لا لانتصارات القوة الوحشية ولا للبلدان المخربة بالحديد والنار ولا للانهر المغطاة بجثث القتلى بل لذلك الفتح المبين الذي تنتصر به الروح السامية على نفسها فتضحي العاطفة في سبيل المبدأ .

يزعم بلوتارك في كتابه حياة بروتوس ان بروتوس ابن القيصر وهذا سبب عطف القيصر عليه بوجه خاص غير ان شكسبير لا يذكر ذلك تصريحاً او تلميحاً لئلا تضعف حجته فان السامع اذا عرف ذلك لا يسعه الا ان يرمي بروتوس بالعقوق فتضيع الغاية الادبية من عمل بروتوس ويساور اعجاب الناس شيء من الاسف والندم . لقد كتب فولتير في الموضوع وتبسط فيه فوضع بروتوس بين حبه لابيه وحبه للحرية مما يترك اثراً سيئاً في نفوس السامعين فلا يدري الناس اكان بروتوس على صواب ام خطأ عندما انكر صوت الطبيعة ليصغي الى صوت الاجتماع ولا تجد شيئاً من هذا في شكسبير بل يحول كل اعجابك نحو بروتوس وهذا ما تشعر به حالاً عند رفع الستار .

يقول « بلوتارك » في كتابه « حياة بروتوس » ان كاسيوس الهب بروتوس ودفعه الى التآمر والقتل . وفي كتابه حياة القيصر ، يذكر ان انطونيوس عرض التاج على القائد في عيد اذار . فجمع شكسبير بين هذين المشهدين على وجه تبدو فيه الاهمية لتلك المأساة وذلك الحديث السري بين وطنيين يبث كل منهما الآخر اخفى ما في نفسه ، تاركاً من وراء المسرح تلك المهزلة الفخمة التي يتظاهر فيها الدكتاتور وهو مستو على عرشه الذهبي برفض التاج فيسمع الحضور عن بعد انغام الموسيقى وهتاف الجماهير بينما هو يشهد عن كثب حركة المؤامرة ويسمع همس المتآمرين .

وفي هذا الحديث ينتزع كاسيوس من بروتوس هذا الاعتراف : احب القيصر ولكن لا اريد ان يختاره الشعب ملكاً له ، ولا يفتأ كاسيوس يعدد عيوب الطاغية ويتبسط في ذكر استبداده ومحاربته حرية الفكر الى ان يقتنع بروتوس فيضحي حبه للقيصر في سبيل الخير العام .

وهكذا يتمشى القارئ او السامع مع المؤلف بالعطف على بروتوس دون القيصر منذ حديث المشهد الاول الى المؤامرة الى الاغتيال الى ختام الرواية .

نقولا فياض

التاريخ وفلسفته

بقلم الدكتور محمد يحيى الهاشمي

☆

موضوع التاريخ: يبحث التاريخ عن ماضي الجمعيات البشرية. فهو يدرس موضوعاً خاصاً خلافاً لبقية العلوم التي تدرس مواضيع عامة. ولعدم امكان مشاهدة الحوادث الماضية واعادة تجاربها فهو ابعد العلوم عن العلوم التجريبية، ولكنه يتوخى معرفة الحقيقة ويجهد في اظهارها جهد المستطاع، وابعد المؤرخ عن الحوادث فهو يستعمل النقد الى اقصى حدوده ليعرف هل في الامكان وقوع مثل هذه الحوادث ام ليس بالامكان، فيقتضي على المؤرخ معرفة البيئة والزمن معرفة تامة ومن ثم طبيعة المجتمع البشري، لذلك فهو يمت الى علم الاجتماع بصلات وثيقة.

منهاجه: بما ان التاريخ يدرس الماضي ولا علاقة له بالحاضر الا من وجهة المقارنة فهو يختلف في منهجه عن بقية العلوم اختلافاً كلياً، فهو اذن بحاجة الى درس الآثار الباقية والمخلفات درساً عميقاً معتمداً على ما شاهده غيره متحرياً الحقيقة جهد المستطاع، فكما تعتمد باقي العلوم على المشاهدات الحالية والحوادث التي تقع آنياً فهو يعتمد على وثائق قديمة واخبار عن الماضي سواء أكانت مدونة او تتناقلها الالسن جيلاً بعد جيل، وللتأكيد من الاخبار فهو يسلك الطريق الآتي:

الوثائق المادية: يعتمد البحث التاريخي على الوثائق المادية والآثار المتبقية عن الماضي كالمعابد والقصور والقلاع والتماثيل والاسلحة وغير ذلك، هذه الآثار تكون مطمورة تحت الارض فيقوم الاثريون في التنقيب عنها، فيخرجونها ويودعونها المتاحف ويصنفونها حسب الحضارة المنتمية اليها وحسب عهدها، وقد يتعذر ارسال بعض المباني الى المتاحف فتبقى راسية في الارض لذلك يقتضي على من يريد ان يدرسها ان يذهب اليها ويفحصها في ارضها فحصاً جيداً. فعلى المؤرخ ان يكون ناقداً لهذه الوثائق وان يتحرى صدقها فيما اذا كانت اصلية او مزورة وذلك بتدقيقها بامعان بعد معرفة زمن الصنع. وهل يمكن احداث مثل هذا الاثر في ذلك الزمن ام لا؟ فاذا رأينا آثاراً من صناعات معدنية في الدور الحجري مثلاً يلزم ان ننظر الى هذه الآثار بتحفظ لان الزمن لا يسمح بذلك، لا سيما اذا كانت هذه الصناعة قد وصلت الى درجة عالية من الرقي. ولا يكتفي الفاحص بدراسة الاثر نفسه بل لا بد له من ان يقارنه مع باقي الآثار، فيتوصل عند ذلك الى معرفة اصلية الاثر وطريقة الصنع والغاية التي صنعت من اجله فيدرك بذلك المستوى الفكري السائد في ذلك العصر، ومن تدقيق هذه الجزئيات الصغيرة يمكن ان يتوصل الى قاعدة كلية عامة عن مبلغ الحضارة التي وصلت اليها تلك الامة، واذا ثابر في الفحص وكان صاحب فكرة نقادة وبصيرة حادة قد يتوصل الى معرفة سير الحضارات العالمية، وبذلك يكون قد خدم علم الاجتماع خدمة بينة. وعلى كل فلا يستطيع ان يعتمد على هذه الآثار المادية وحدها بل لا بد له ايضاً من ان يعتمد على وثائق معنوية تدعم ما وجده او تشرحه شرحاً كافياً ينير له ما غمض عليه مستعيناً ايضاً بالشهادات. فعلى المؤرخ اذن ان لا يكتفي بمثل هذه الحجج المادية بل لا بد له ايضاً من ان يعتمد على الوثائق المعنوية والشهادات فيقوم ايضاً بدرسها وتمحيصها.

الوثائق المعنوية: هذه الآثار لا تعرفنا بالماضي بصورة مشاهدة بل بالآثار المدونة والتواتر الشفهي. ووظيفة المؤرخ ان يفحص هذه الوثائق ليعرف المزيف منها مستعملاً نفس المنهاج الذي استعمله في تدقيق الوثائق المادية ويزاد على ذلك معرفة دلالة بعض الرموز كالرموز الهيروغليفية التي استغرق علماء الآثار في فك الغازها عصوراً طويلة وكذلك معرفة الخطوط واللغة القديمة ومخارج حروفها واصواتها ومدلولاتها وغاية تلك اللغة القديمة، وهل هناك معنى مجازي ومعنى حقيقي مقصود، ثم معرفة لهجة المخاطبة وغير ذلك من الامور. واهم من ذلك كله ادراك روح العصر، فكثير من القضايا تكون

لا اهمية لها في زماننا الحاضر وهي من الامور الهامة في ازمنة غابرة او بالعكس فعلى المؤرخ ان يكون مدركاً لهذه القضايا لكي يتاح له ان يفسر حوادث التاريخ من الوثائق المتبقية على ضوء الزمن . على ان يكون ذا بصيرة ثاقبة لتميز المنتحل من الاصلي ، فكثيراً ما يجد المنقبون مخطوطة او رسالة قديمة فيظنونها اصلية ولكن يتبين بعد ذلك انها منتحلة ، كلاً او جزءاً ، من تحريف في النص وادخال حشو فيه او تغيره بتحسينه او بتقبيحه ، ولا بد من ان يستعين ايضاً بالشهادات .

فحص الشهادات : تنقسم الشهادة الى قسمين : الشهادة العيانية اي ان يكون الشاهد حاضراً الحادث والشهادة المروية عن شاهد كما هو الحال في نقلة الحديث والذين يروى عنهم انهم شاهدوا الحادث . الشاهد العياني اما ان يكون راوياً للحديث بنفسه ، وهذا اذا كان الحادث ليس ببعيد العهد او ان يكون دونه بخطه . فعلى المؤرخ ان يقوم بنقد الشهادات ليعرف المنتحل منها والاصلي، ثم ليعرف ايضاً المقصود من هذه الشهادة ، وما هي نزعة هذا الشاهد . على ان لا يكتفي بشهادة واحدة بل بشهادات مختلفة من نزعات متفاوتة ، فاذا اطلعنا شخصان من حزبين متباينين على حادث واحد، قد يصوره كل واحد منهما بالصورة التي يرغبها ولكننا اذا رجعنا الى محاكمتنا يمكننا ان نستخلص من هاتين الشهادتين صورة قريبة من الواقع . وفي الحقيقة ان المؤرخ النزيه في حيرة شديدة من امره ، لانه قلما يعثر على خبر او على شهادة لا غرض فيها ، وقد يتعذر عليه ان يميز بين الصدق والكذب ، لا سيا اذا كانت الدلائل غير واضحة والقرائن غامضة، فمهمة المؤرخ اذن مهمة شاقة عسيرة اذا اراد ان لا يكتفي بالحدس والتخمين واراد سبر غور الحقيقة . وعلى كل يجب ان يراعي الامور الآتية :

١) صدق الشاهد . سواء أكان متعمداً او عن غير تعمد .

٢) نزعته فيا اذا كان له مصلحة ان يحرف الحادث ام لا ؟

٣) تواتر الشهادات من نزعات مختلفة .

٤) معرفة طبيعة الجمعيات البشرية .

٥) « البيئة .

٦) « الزمن ومستواه العلمي والخلقي .

٧) انه كلما بعدت الشقة بيننا وبين الحادث المروي في التواتر الشفهي كلما كان احتمال الوقوع ضعيفاً . وكثيراً ما يلعب التأثير النفسي دوره .

٨) التفريق بين المعنى الاصلي والمقصود .

٩) الخبرة الفنية عن الحادث المروي من فلكية الى كيميائية الى اجتماعية الى غير ذلك ، فكثيراً ما يرى الانسان شيئاً ولايحسن تفسيره .

١٠) القياس المنطقي ، كي لا يشذ المؤرخ عن مبدأ عدم التناقض ، فاذا روى لنا شاهد عن جيش قتل مائة الف من سكان مدينة ما ، وهي لا تحوي اكثر من خمسين الفاً ، فلا يمكننا ان نصدق الشاهد ، اما لعدم رواية الخبر على علاته او لمبالغته .

١١) عدم قياس الوقائع بقياس المؤرخ بل معرفته على حالته ، ولكي يتوصل الى هذا الهدف لا بد له ايضاً من ان يدرك الحادث التاريخي بعين الاقوام الذين حدث عندهم ومن ثم يصدر حكمه على ذلك .

المحرك التاريخي : يتساءل علماء التاريخ ما هو المحرك للحوادث التاريخية . اي اننا بعد تحليلنا للحوادث اذا اردنا ان نركب التاريخ لنضع نظريات عامة عن الدوافع في الحوادث التاريخية، فما هي هذه الدوافع ؟

اختلف فلاسفة التاريخ في هذا المضار اختلافاً كبيراً فمنهم من يدعي ان المثل العليا هي التي تحرك الحوادث ومنهم من ادعى انها المادة والامور الاقتصادية ، ومنهم من جعلها في فكرة البطل، ومنهم من آلف بين الاقتصاد والمثل العليا ومنهم من جعل للتاريخ منطقاً خاصاً ومجرى لا يتعداه ، مشابهاً بين الحوادث التاريخية وحوادث الحياة . واتماماً للفائدة لندرس كل قسم من هذه الاقسام على حدة :

١ : المثل الاعلى في التاريخ : زعم بعض فلاسفة التاريخ امثال Michelet ان الافكار هي التي تحرك الحوادث ، فالتاريخ ليس الا عبارة عن مسرح للافكار العالية كشوق البشر الى الحرية والعدل والمساواة . ويتفق مع هذه الفكرة العالية ايضاً « كانت » فانه يقول : « يمكننا ان نعتبر تاريخ الجنس البشري بصورة عامة كتحقيق لبرنامج الطبيعة الخفي ولهذا الغرض بصورة ظاهرية ايضاً للتوصل لنظام حكومي كامل يتمكن فيه كل فرد من افراد البشرية ان يطور قابلياته الخاصة بصورة تامة » . وبهذا الاعتبار فالانسان مسير غير مخير في اعماله فهو خاضع لمجرى الطبيعة الخفي ، ويستدل على رأيه هذا بأن ابعد الشعوب عنه لها مساس في تاريخه ايضاً ، وان كان من المتعذر على حسب رأيه معرفة العلاقات في الحوادث الجزئية ولكن لدى تركيبها يتراءى لنا ذلك ، فرغم مقارنة الحوادث الطبيعية بالحوادث التاريخية ، فهو يرى للتاريخ

مثلا اعلى الا وهو كمال البشرية . فنظرية « كانت » اذن رغم قيمتها الادبية ليست الا فرضاً من المتعذر قيام برهان عليه ، فهو متأثر بعاطفته الدينية في تفسير الحوادث التاريخية في تراكيبها الى حد بعيد وهو يشبه فيكو Vico بقوله بالعناية الالهية في حوادث التاريخ، وان كان الاول يشير الى التطور والثاني لا يشير الى ذلك .

ورغم طول باع هـذا الفيلسوف بالنظريات الفلسفية وتأثيره العميق على مفكري اوروبا فقد بقيت نظريته في التـاريخ مهملة من العلماء .

النظرية الحيوية في التاريخ : مر معنا في بحث الاجتماع النظرية الحيوية في تشكيل الجمعيات البشرية ولقد تغالى عالم يدعى اشبنجلر في هذه النظرية مطبقاً ذلك على الحوادث التاريخية ساعيـاً ليقيم البرهان على ان الادوار التي تمر بالامة هي نفس الادوار الـتي تمر بالكائن الحي ، وان لا خيرة في الامر من اختيار طريق آخر كما لا خيرة للشيخ الهرم من ان يموت اولا ؟ فهذا العالم في كتابه الفذ الذي الفه بعنوان « سقوط الغرب » وضع بذوراً لفلسفة جديدة وثار على ما هو متعارف حتى اليوم وجرب ليبرهن ان الحـالة التي وصلت اليها اوروبا ليست باختيارها بل لا بد منها ، لان مصيرها هو كذلك ، فلا خيرة لها في الامر، فهو يرى في الحوادث التاريخية نفس العوامل التي يراها في كل كائن حي . وقد حاول هذا المؤرخ ان يضع خطة للتنبأ عن مستقبل الحوادث التاريخية طالما هي تسير على نمط واحد وفيها ولادة وشباب فكهولة فشيخوخة ، فموت . فهناك - كما يسمي هذا الفيلسوف التاريخي - مصير للتاريخ . فالحوادث يلزم ان تسير على هذا النمط ولا يمكن ان تسير على نمط آخر . من اجل ذلك تنبأ عن نهاية الحضارة الغربية وهي لا تزال في اوج عزها وسؤددها قياساً على باقي الحضارات التي لعبت دورها ثم بارت .

ويقول في مقدمة كتابه هذه العبارة : « في هذا الكتـاب سوف نجرب للمرة الاولى ان نتنبأ عن مستقبل التاريخ . نريد ان نتتبع مصير حضارة في كوكبنا الارضي قد تكاملت في زماننـا الا وهي الحضارة الاوروبية الاميركية . نريد ان نرمي نظرة الى مرحلة لم نصل اليها بعد ... هل هناك منطق للتاريخ ؟ وهل هناك مصير خاص للتاريخ ، بقطع النظر عن وحدات الحوادث ؟ هـل يوجد ما « وراء طبيعة » للتاريخ يجري عليه مخطط الانسانية بصورة لا علاقة لها بالظواهر السياسية والاحوال السطحية ؟ الا يظهر للعين البصيرة ان هناك مجرى خاص تجري عليه الامور ويجب ان تجري عليه ؟ ... الا يوجد للحضارة مراحل كمراحل الحياة من ولادة وشباب وهرم وموت ؟ ... قد اعطى هذا المفكر قيمة كبيرة للثورة الكوبرنيكية التي نقلت مركز العالم من الارض الى الشمس، فاتخذ هذا المثل كمركز بديع لضرورة القضاء على النظرة الخاصة في الحوادث التاريخية والاستعاضة عنها بنظرة شاملة تريد ان ترى الحقيقة كما هي او يعتقد بان الفلكي قد تحرر من الابعاد النسبية ولكن المؤرخ لا يزال يرسف تحت نير قيودها . بهذه الثورة التي اعلنها يريد ان يفهم قيمة كل حضارة من الحضارات ليعلم فكرة المصير التي تتحكم في هذا الكون وليعلم سر تلك القدرة الخفية التي تظهر آثارها في التاريخ كما تظهر في ذوي الحياة من حيوان ونبات . وهو يشبه اعمار الحضارات بالنباتات فيقول مثـلا ربيع الحضارة اليونانية وصيفها وشتائها وخريفها ويرى في الحضارة الغربية الحاضرة مأساة اليمة وذلك الكفاحها ضد الطبيعة ، ذلك الكفاح الذي لا امل له فيه ، ومع ذلك كله لا تستطيع الا ان تسير فيه الى النهاية .

هذا ولقد سبق اشبنجلر الفيلسوف هيغل Hegel في النظرية الحيوية في التاريخ فلقد قال في التطور ، ولكن فكـرة التطور عنده تمشي صعداً لتحقيق فكرة عالية . اما اشبنجلر فيرى التشابه بين الحضارة والكائن الحي، حضارة تموت وحضارة تنشأ وهكذا الى ما شاء الله .

نظرية البطل في التاريخ : ملخص هذه الفكرة التي فاه بها كارلايل في كتابه الابطال ان المحرك الحقيقي في الحوادث التاريخية هو ولادة البطل ، فالبطل هو ذلك الانسان الذي لا يود ان يرشي نفسه بشيء بل يبتغي الحقيقة ويقود شعبه الى اوج الفلاح، فالبطل هو الذي يوجه الشعب الى الفلاح ، ويقول « ان الرجل العظيم مـا برح في جميع الازمان لغزاً من الالغاز ، لا ندري كيف نفسره ، ولا كيف نستقبله ونعامله ! ولعل اهم مزايا جيل من الاجيال ، هو كيفية استقباله لرجله العظيم ، وسواء استقبلوه كآله او كنبي ، او كيفما كان ، فذلك هو السؤال الاكبر ، ومن طريق اجابتهم عن هذا السؤال وكيفية مذهبهم في ذلك الامر، يمكننا ان نبصر صميم حالتهم الروحانية ، كما لو كانوا من خلال نافذة » . ويعتقد هذا المفكر : « انه لا حاجة لشعب ان يسقط وينحط طالما وجد رجلاً كبيراً وحكيماً مدركاً روح العصر وشجاعاً قادراً على ان يجد الطريق الذي يسير فيه شعبه ، فيكون بذلك مخلصهم ومنجيهم »، ويرى كذلك ان لا مصيبة على شعب بقدر تدهور ايمانه بالرجـل

العظيم . فالحادث العظيم هو وجود بطل في شعب ما واعتقاد هذا الشعب بهذا البطل .

وفي الحقيقة ان فكرة الرجل العظيم هي ليست بجديدة كما يقول عنها كارلايل نفسه وما عبادة الاشخاص من قديم الازمنة الا ارضاء لتقديس الرجل العظيم ، ونجدها ايضاً في الاديان باشكال مختلفة كفكرة المنجي عند اليهود الذي سيعود اليهم ملك بني اسرائيل ، وكذلك الامام المعصوم عند الشيعة والمهدي عند السنيين الذي يملأ الدنيا عدلاً بعد ان ملأت جوراً وظلماً . وقد تعالى نيتشه في هذا الصدد واضعاً مفهوماً جديداً هو فكرة « فوق الانسان » ، فالغاية من البشرية الحصول على « فوق الانسان » الذي يقرر مصير العباد .

نقد هذه الفكرة : لا ننكر تأثير الفرد في الحوادث التاريخية ولكن اعطاء هذه القيمة للفرد وتأثيراته في مجرى التاريخ فذلك غلو لا مبرر له ، وكثيراً ما نظن ان التأثير في حادثة من الحوادث لفرد من الافراد ولكننا اذا امعنا النظر نجد تأثير البيئة والظروف عظيماً ايضاً . وكثيراً ما ارتكب الفرد خطيئات كبيرة من جراء غلوه في اعتقاده في نفسه فقاد شعبه الى مواطن الهلاك ، فالانسان مهما كان نابغاً فهو بحاجة عظيمة الى ان يسترشد برأي غيره ويراعي الظروف الذي هو فيها ، واما اذا ركبه الغرور وابتلي بجنون العظمة فانه يتدهور وتتدهور امته معه .

النظرية الاقتصادية في التاريخ : مفاد هذه النظرية ان الدافع في الحوادث التاريخية هي الامور الاقتصادية ، وقد كان اقدم القائلين بها ابن خلدون العالم الاجتماعي العظيم ، ولكن الاوروبيين يعدون العالم الافرنسي مونتسكيو (من علماء القرن السابع عشر) انه اول من ربط علم الاقتصاد بعلم التاريخ ، واول من شارك هذين العلمين في تفسير الحادثات الاجتماعية وتعليلها . ويعد الباحث الانكليزي فلينت مونتسكيو ممن يستحقون مقاماً ممتازاً جداً في تاريخ فلسفة التاريخ ، وذلك بفضل المباحث التي كتبها عن الجباية والتجارة والنفوس في كتابه الذائع الصيت روح القوانين ، لانه ادخل عنصر الاقتصاد في التاريخ . وفي الحقيقة كما بين ساطع الحصري في دراساته عن ابن خلدون ، ان هذا العالم الغربي المتقدم كان اسبق في ادخال هذا العامل . اما من بحث بحثاً علمياً دقيقاً في هذا الصدد فهو كارل ماركس مبيناً ان المحرك الحقيقي في جميع حوادث التاريخ يرجع الى الاقتصاد .

النظرية التركيبية : وهناك من يركب بين الامور المادية والمعنوية في دوافع التاريخ ، اي لا تؤثر العوامل المادية فحسب بل تشترك العوامل المادية والمعنوية ايضاً ، كفكرة الدين والحرية والعدل والمساواة والوطنية وما شاكل ذلك ، فلم يكن الدافع في هذه الحوادث الامور الاقتصادية بل امور معنوية لا دخل لها في المادة ، وكم اثرت مثل هذه الامور في توجيه شعب من الشعوب الى الحرب او السلم وتنصيب رئيس او عزله وغير ذلك . وقد كان زعيم هذه الفكرة هو العالم جان جوروس . فهو يوضح حوادث التاريخ مادياً حسب ماركس ومعنوياً حسب Michelet او انه يؤآلف بين هاتين الفكرتين ، والحق يقال ان كلا العاملين مهمان ، فلا بد من ان تشترك بجانب القضايا الاقتصادية العوامل المعنوية ايضاً .

يقين التاريخ : مما تقدم يتبين لنا ان يقين التاريخ نسبي ، لان الحوادث لا نقدر على مشاهدتها فنكتفي بالاعتماد على الوثائق والشهادات وكما مر معنا من قبل ان اوجه الخطأ كثيرة في هذا المضمار ، من اجل ذلك . فلا يقين للتاريخ بل هو من المحتمل . غير ان هذا الاحتمال يكون قوياً فيما اذا طبقنا المنهج الذي مر معنا تطبيقاً جيداً . ويظن ان اليقين يزداد بقرب الزمن ويبعد ببعده ، بيد ان هذه الفكرة جديرة بالمناقشة ، فهي صحيحة من اجل التواتر الشفهي ، ولكن التدوين والآثار قد تحفظ الشيء اكثر من تناقل الالسن جيلاً بعد جيل ، واحتمال التحريف في هذا التدوين اقل من المشافهة وهناك مزية ثانية لبعد الزمن فالقضايا الحاضرة تمس المؤرخين كثيراً ، فلذلك من المحتمل ان يحدث الحادث ويترك لمنطق العواطف يملي عليه . اما اذا بعد الحادث بالزمن فان هذا الاحتمال قليل .

فائدة التاريخ : للتاريخ فوائد جمة فهو معين لا ينضب لعلم الاجتماع ، ولا يوجد عالم من علماء الاجتماع لم يعتمد على التاريخ في ابداء افكاره . وهو ايضاً عبرة للاجيال الحاضرة ، اذا كنا ندرس التاريخ ونستفيد منه ، وهو ايضاً حافز للنهوض بالامم ، فالانسان عدو ما جهل ، ولكن اذا اطلع على ماضي زمانه ، قد يكون ذلك سبباً لنمو عاطفة الوطنية والقومية . ومن الضروري ايضاً ان لا نتعلم من تاريخنا نواحي القوة فقط ، بل لا بد من تعقل نواحي الضعف كذلك لتقويته ، لان المؤرخ اذا موه على نفسه وعلى امته بقصد خدمتها واغمض عينيه عن اخطاء ارتكبت في الماضي ، وقلب الحسنات سيئات يرتكب جريمتين جريمة على العلم وجريمة على القومية . جريمة على العلم لانه لم يراع الامانة التي اؤتمن عليها ،

ـ التتمة في الصفحة ٤٥ ـ

من الشعر الموقع

هجـــرة

◆

عندما تشتعل الشمس من حزيران ،
تهجر البلابل اعشاشها ،
وتذهب بعيداً في السماء ،
باحثة عن مأوى جديد ،
يقيها لفحة الرمضاء ،
في هذا الصيف الشديد .

وقد هجر بلبلي عشه ايضاً ،
يستبق الطير الى الذروات ،
حتى هبط في الوادي البهيج [1] ،
حيث تتفجر الينابيع من السماء
وتبترد الافيـاء في الارض ،
وحيث يستطيع ارسال الصوت في الاجواء ،
عبقرياً جميلا ،
فتصطفق على لحنه المياه ،
وتسترق الافياء السمع
من فم الطائر الغرّيد !

هجر عشه وراح ...
راح ... ولم انظر الى عينيه ،
— كما هي عادتي —
نظرات افقد معها الوجدان ،
واشعر بمثل الفناء ،
الذي يصير اليه الصوفية ،
الهاربون من الزمان
في ساعات التنزه الكبرى .

سوف اسأل البلابل غدا ...
أليس فيها جواد كريم
يعير الجناح ،
ساعة من نهار ،
اطير فيها الى حيث بلبلي
فأرى اليه من بعيد ،
ثم انثني ،
على فؤاد كليم !

سوف اسأل البلابل غدا ...
ولكن اكثر خوفي
ان يراني بلبلي هناك ،
فلا يرتاح لي ،
وان تلحظني العيون ،
فتتجنى عليّ ،
وتفتري .

ليت لي قبعة عجيبة ،
وجواداً مسحوراً ،
من عهد سليمان ...
اذن لنلت ما ابتغي
ولعُدت الى هذه الارض ،
في مثل ارتداد الطرف ،
لم يتجنّ عليّ الناس ،
ولم يرني بلبلي !

منير البعلبكي

(١) الوادي البهيج قرية حمانا .

التعاون الاقتصادي في العالم ونصيبنا منه

بقلم محمد جميل بيهم

١ – تطور النظم الاقتصادية قبل الحرب

يؤثر عن السياسي البرتغالي بومبال انه هاله اتكال وطنه على مصنوعات بريطانيا العظمى فاصدر امراً سنة ١٧٥٩ يقضي بمنع اخراج المواد الاولية اليها ، ولما احتجت حكومة لندن عليه اجابها قائلاً : « ان من سفاهة الرأي التي لا مثيل لها في الاقتصادالسياسي ان نترككم تجهزوننا باللباس والرياش وسائر حاجاتنا بينما نحن نقدكم اثمانها مبالغ تقوم بأود خمسين الف عامل من تبعة الملك جورج يعيشون على نفقتنا في بلادكم . »

وهكذا فان اجزاء العالم الغربي الذي وثب وثباً في نهضته الاقتصادية خلال الاجيال الاخيرة سرعان ما انتبهت الى حماية نفسها وحماية انتاجها الخاص . وقد اعتمدت الدول في ذلك على وسيلتين : المنع او الحماية . والمقصود بالمنع قفل الابواب بوجه البضائع الاجنبية لافساح المجال امام منتوجات البلاد لتنجح وتزدهر ، واما الحماية فتقوم بوضع الضرائب الجمركية الباهظة على ما يرد من السلع الاجنبية بحيث تعجز عن مزاحمة المنتوجات الوطنية .

وقد اتيح للحكومات العربية المستقلة ان تمارس قبل الحرب هذه الوسائل اسوة بسواها ، واما التي ظل تشريعها الجمركي في قبضة اولياء لهم مصالحهم وهم يضعون ذلك التشريع وفقاً لهذه المصالح كسوريا ولبنان فقد ظلت سياستها الجمركية خاضعة لاساليب استثنائية .

هذا ولما برزت اليابان بعد الحرب العالمية الاولى الى ميدان الكفاح الاقتصادي واعتزت بطريقتها الخاصة Dumping غمر اسواق العالم بالبضائع اصبح مفعول « الحماية » غير مجد ، ذلك لان اليابان حاربت البطالة باسلوب مبتكر ، وهي بدلاً من ان ترتب رواتب للعاطلين ، كما فعلت امريكا واوروبا ، كانت تحارب البطالة بطريقة مباشرة : طريقة - الوقاية خير من المعالجة – ذلك انها كانت تؤدي للمعامل التي تواظب على العمل مجموع الخسائر التي تصيبها . وفوق ذلك كانت تحتال على تسرب سلعها الرخيصة الى البلاد التي فرضت عليها الرسوم الباهظة في سبيل مكافحتها بان ترسل هذه السلع بواسطة بلاد اخرى . وهكذا بدت طريقة الحماية غير مجدية . كما ان طريقة « المنع » لم تكن تصلح كقاعدة عامة ذلك لان الممالك المصدرة كانت كثيراً ما تتحاشاها خشية ان تعرض نفسها للمعاملة بالمثل . بينما ان هذه الممالك في حاجة شديدة لاستمرار الاصدار .

وقد فتقت لهم فكرة جديدة في الفترة التي تخللت الحربين العالميتين ، وهي في الواقع رجعة الى القديم البعيد اعني بها طريقة المقايضة . وهم يتوخون بها الحرص على اموال الدولة ان تتسرب الى بلاد اخرى . مثال ذلك ان تركيا بلاد زراعية في حين ان الولايات المتحدة غنية في الصنائع ، فكانت الدولتان تتفقان على ان تصدر تركيا الى بلاد العم السام ما تحتاج اليه هذه من المحاصيل والمواد الاولية على ان تستورد تركيا ما تفتقر اليه من المصنوعات بقيمة المثل .

وقد مارست البلاد العربية المستقلة هذا الحق ، اما سوريا ولبنان فكان الاجنبي يعقد المعاهدات باسمها حسب مصالحه ، وهو لا يتورع عن حملها على حصر الاستيراد مهما امكن من بلاده . كانت بلاد الشام مثلاً تستورد الخشب من رومانيا ، واذا جاءت تقول لهذه الدولة انا اعطيك الليمون الحامض بدلاً عن الخشب قصد الاحتفاظ بالنقد اجابتها حكومة بخارست كلا فان الولي على امرك تعاهد معي على ان يصدر من فرنسا الى بلادي سلعاً بقيمة ما تستوردين من رومانيا .

٢ – وحي الحرب الحاضرة

للحروب ايحاءات خاصة مصدرها الآلام وهدفها صيانة السلام . وكما الهمت الحرب الماضية الدكتور ويلسون شروطه المعلومة وحسنت الى الدول الظافرة فكرة انشاء عصبة الامم فان تأزم الحالة السياسية فيما بعد ، من جراء اختلال التوازن الاقتصادي حمل دول العالم على وضع المشاريع الاقتصادية العالمية لاجتناب القتال . واشهرها مشروع كوليدج . ولكن واحداً منها لم يثمر ، ذلك ان اصحاب هذه المشاريع لم يدخلوا صميم الموضوع فيعالجوا التنظيم الدولي اقتصادياً على اساس انصاف الشعوب ؛ بل عمدوا الى تحكيم العواطف والمصالح فكان المصير هذه الحرب التي عانينا شرورها واهوالها .

ومثلما ان هذه الحرب اوحت الى السيدين روزفلت وتشرشل

عهدة الاطلنطيكي فقد اثارت من جديد وبنطاق اوسع فكرة التعاون الدولي اقتصادياً ، كما نشطت مشاريع التنظيم الاقتصادي الوطني تنظيما يستهدف الانصاف وبالتالي السلام . واشهر ما وضع من هذه الابحاث مشاريع بيفردج وكينس ومورغانتو واتكوثرا ، فضلا عن المشاريع السوفياتية .

ومن دواعي السرور ان تكون الامة العربية التي تعمل متحدة لمواجهة السلام شرعت بالتشاور في الناحية السياسية واقدمت على اتخاذ قرارات نافعة، كما انها عمدت فعلا الى التعاون في صعيد الثقافة تعاوناً دولياً يقوم على اتفاقات خاصة ، ولكن الذي يثير الاهتمام ان يظل التعاون الاقتصادي مهمل الجانب ، ومقصوراً على تدابير وقتية استلزمتها حالة الحرب قامت باعبائها خير قيام لجنة التموين البريطانية في القاهرة .

ذلك ما حملني على اثارة هذا البحث ، ومما ازعم اني اوفيه حقه ، وانما هي محاولة القصد منها فتح الباب رجاء ان يلجه ارباب الاختصاص .

٣ – ثروة العالم العربي خطر عليه

انقشعت الحرب عن تطورات عالمية عظيمة لها علاقة بالامصار كما لها اتصال بالافكار . واصبح للعالم العربي من جراء تطور سباق النقل مكانة عالمية ممتازة لم تكن له قبل بضع سنين ذلك ان الاعتماد على الطائرات اصبح يتطلب قواعدها ومحطات ، كما ان تخوم الغرب لم تعد تقف عند ساحل المحيط الاطلسي الشرقي ، بل صارت تمتد بعد خروج الولايات المتحدة عن مذهب مونرو، مذهب العزلة ، الى المحيط الباسيفيكي .

لذلك فان الامصار العربية لا سيما ما كان منها حول البحر المتوسط ستكون قواعد استراتيجية لشركات النقل الجوية ، كما هي لغيرها ، ومحطات عامة ، ما بين المشرق والمغرب من اقصاهما الى اقصاهما .

ويزيد في هذه المكانة التي ستتبوأها البلاد العربية اهمية على اهمية وجود البترول في العراق ونجد والبحرين ، بالاضافة الى ما في اطراف سورية الشمالية من زيوت . وخاصة ان المشروع الاميركي يرمي الى مد انابيب زيوت الجزيرة الى البحر المتوسط ، وقد نوهت جريدة الصنداي تيمس اللندنية بذلك وبما سيؤدي رخاء العالم العربي المستمد من هذه الثروات من الاثر الطيب في نجاح مشاريعه التعاونية . ولكن الثروات في نظري شر على الضعفاء اذا لم يحسنوا التصرف في حمايتها . لذلك كان التكتل في الناحية الاقتصادية من اهم واجبات الشعوب العربية ، والدرس الى جانب التكتل اوجب لمجابهة المصير والمستقبل مجابهة تقوم على دربة ودراية خصوصاً وان العرب سيجابهون تنظيما دولياً حديثاً يعتني بالروابط الاقتصادية العالمية ويضع اسس التبادل ، واذا اقتصر وضع هذا التنظيم على الدول الكبرى ، وهي التي تمثل الامم المصدرة كان اشبه بثوب عملاق جبار يضيع في ثناياه ضعفاء الاجسام .

٤ – هل التعاون الاقتصادي بين الشعوب العربية ممكن ؟

اسمعونا كثيراً نغمة غريبة مآلها تعذر التعاون اقتصادياً بين البلاد العربية . ولماذا ؟ – لان ارجاءها واسعة واطرافها مترامية .

ونحن نود قبل الدخول في صميم موضوع التعاون ان ندفع هذا الوهم . ان هذا الاتساع مع ما يتخلله من سباسب وصحراوات ، ومع ما فيه من اختلاف في الطبائع وتباين في المستويين الاقتصادي والثقافي لم يحل في جيل ماض دون تكتل الولايات المتحدة الاميركية، على ما كان عليه العالم من ضعف في اسباب النقل ، فلماذا يكون ذلك الاتساع حائلا اليوم دون تعاون البلاد العربية واتحادها وقد اصبحت وسائل النقل على ما نعلم من اليسر والسرعة بحيث جعلت الكون وحدة قريبة الابعاد .

كنت عام ١٩٣٩ بمدينة سيامي فلوريدا في الولايات المتحدة فلفت نظري دخان يتكاثف في الفضاء . كلما كرت الساعات حتى ظننت ان المدينة تحترق برمتها . واذا به حريق في غابة على مئات الاميال تضطرم نيرانه منذ ثلاثة ايام . وقال محدثي ان النارستظل تضطرم حتى تنطفىء . فقلت له مستغرباً . – وهل تبقى الحكومة مكتوفة اليدين ؟

فرد علي والابتسامة مرتسمة على وجهه – واية حكومة مهما كانت جبارة تستطيع ان تدرك مهب النار ؟ – انها غابة لا حد لها متشابكة الاشجار سقط فيها طيار في عام مضى فلم تجد حكومة امريكا وسيلة لانقاذه رغم حزنها عليه، ورغم الجهود الجبارة التي بذلتها في سبيل انقاذه ! » .

اجل والى هذا الحد ففي الولايات المتحدة مفاوز وصحار وغابات وخصوصاً في ولاية تكساس لم تحل في وقت من الاوقات دون قيامها على اساس الوحدة الاقتصادية .

فالتعاون اقتصادياً بين الشعوب العربية على اساس واسع ممكن اذن ومجد ايضاً وقد نعالج هذا الموضوع في مقال آت .

محمد جميل بيهم

احـــلام

☆

للدكتور حبيب ثابت

•

على الشواطي الخضر في زورق نامت الى الاصباح احلامنـا

وفي الرمـال الحمر نام الهوى غطاوءه النور واوهامنـا

وفي شقوق الصخر فوق الحصى أغفت طوال الليل احزاننـا

تحت الثريا في حواشي الدجى ظلّ النجوم البيض افيـاوءنا

تهنا حوالى الارض في زورق مجذافه في اليم آمـالنا

فتارة يعلو على مائه وتارة ترسيه اشجاننا

وحولنـا الارياح مجنونة تثيرها في الجو اشواقنـا

اناّ طوينا الريح في كفنـا فطارت الريح واحلامنـا

من زوايا التـــاريخ الفني

☆

مما لا ريب فيه ان الحضارة العربية لم تهمل شأن الفنون الجميلة كما نتوهم نحن اليوم .

وهذا الوهم المؤذي والذي يعيق سير تقدمنـا لنلحق القافلة الانسانية العاملة ، هو نتيجة من بقايا آثار التدهور الذي نزل بتلك الحضارة واصاب الفكر العربي بشلل فأضعف من نشاطه وحد من حيويته المشتعلة .

اصبحنا ننظر الى الفنون كألهية واداة تسلية فهي في عرفنا كمالية لا تمت الى الحياة بشيء ، ولا تتصل بالمجتمع بنسب وهي تخرج عن نطاق القومية والشؤون العامة .

وهذا الخطأ المؤسف في ادراك قيمة الفنون على حقيقتها مرده فقدان التربية الفنية بيننا وفي مكتبتنا العربية الحديثة .

قال الناقدة الكبير (ايلي فور) : ان الفن هو صورة الحياة » .

بل هو يمثل ما في الحياة من عظيم وحقير وحقيقة وخيـال ، وهو الذي يخلع عليها سربالاً رائعاً من الجمال والفتنة يحتجب معه كل قبيح مبتذل .

وليس هذا فحسب بل اضاف ايلي فور قائلًا : ان الفن هو رابطة اجتماعية وداعية للتفاهم القومي الانساني . »

وعلى ذكر القومية وما يشع عنها من مظـاهر الالفة والعزة والكرامة يجمل بنا ان نذكر هذا الحادث ففيه صورة جلية عن علاقة الفن بالقومية .

دخل نابليون بونابرت ايطاليا فاتحاً فخضعت لسلطانه وسكنت على مضض شأن الامم ذات التاريخ والمدنية . وكان يومئذ الفنان الايطالي المعروف (كنوفا) مقرباً من نابليون الذي كان كثير الاعجاب بفن هذا النحات النابغ فاحبه وقربه اليه ولقبه بفنـانه الخاص .

وجال في خاطر الفاتح العظيم ان يقيم لنفسه تمثالا جباراً يشبه تمثال الامبراطور الروماني جول سيزار ليوضع في احدى ساحـات روما الخالدة . وما لبث ان دعا اليه (كنوفا) وكلفه القيام بهذا العمل .

قام الفنان بالعمل الموكول اليه بمهارة ولكنه وهو الفنان الذي يشعر بما تقاسيه امته من عسف واضطهاد وذل، لم يستطع ان يسجل على نفسه وامته هذه المسكنة والاهانة وكان مقرراً ان يحمل نابليون بيده الكرة والصولجان لذلك خطر للفنان حينما اتى على الكرة وفوقها ملاك المجد يرفرف بعظمة وخيلاء خطر له انتقاماً من الرجل الذي اغتصب بلاده واذل امته ان يضع ملاك المجد فوق الكرة ولكنه ادار ظهر المجد لنابليون رمزاً لزوال سلطانه ودنو انهيـار مجده ولم يخف على نابليون هذا القصد فاكتفى برفض التمثال الكبير ولم ينس الفنان بل قدر وطنيته وشعوره لبـلاده . اجل ان الفنان حينما شعر انه محتم عليه ان يسجل على امته عـار العبودية والانكسار ابى عليه فنه ان يمتهن قوميته وكرامة وطنه ففكر بهذه الطريقة لانه يعتقد ، ككل فنان صادق ، ان الفن لا يباع ولا يشرى ، انما هو شعور نبيل يختلج في النفس الكبيرة فيبرز قوياً صادقاً لان المادة تزول اما الفكرة الحق فهي خالدة على كر العصور .

هذه نبذة موجزة مثلها كثير في تاريخ الفن تدل على ارتباطه بالشعور القومي واثره البعيد فيه مما يستغربه الكثيرون من ابناء هذا الوطن الذين يعتقدون ان الفنون مقصور امرهـا على الورقة البسيطة والوتر النحيل والعبارة الطلية والكلمة المستحبة وان الفنون اداة تسلية ولهو فحسب .

كلا، انها الاسس الجبارة التي تقوم عليها الامم وتشاد الحضارات وتعد النفوس للعمل الكبير .

مصطفى فروخ

بين الشاعرية والنبوة

بقلم عبد اللطيف شرارة

★

غريب امر اولئك العرب! فان لهم من روائع الاحاديث وعجائب السير ما تلمس فيه « المعجز »، وهو بيّن الاعجاز، قريب المطاف، بعيد المنال، حتى لكأن هذه الرقعة الصحراوية من اديم الارض، نسجت على نول سحري فما تنبت غير المعجزات، وكأن غيرها من البقاع فاءت الى الحياة من بعدها، فلم توفق الى فهمها واستكناه اسرارها .

وانت لن تجد تلك الغرابة في مخلفات العمران، ومعالم القصور وآثار المدائن، فهذه عفت، وضاعت في عفائها عبقريات الانشاء، كما وانك لن تجدهـا في التماثيل الدارسة، والاصنام المحطمة، والنقوش الشائهة، فتلك انّحت، وانمحى معها الفن الوثني حين دوى في الصحراء صوت السماء صارخاً : « الله اكبر ! ». وانما تجدها على اجمل ما يستهويك اشراقها، وابدع ما تفتنك طرافتها في ذلك النوع من الحياة الروحية التي كان يحياها فريق من البشر ما انفك ادعياء هذا العصر ينعتونهم بأقبح النعوت، ويلصقون بهم اقبح التهم، ويأبون الا ان يحسبوهم « بـدواً » لا يفقهون معنى المدنية، ولا يبلغون مستوى الانسانية . . .

غير ان حيـاة الروح كانت ولا تزال، احجية من احاجي الوجود، فلن ترقى اليها تلك العقول المتحجرة، التي جرت عليهـا جاذبية المادة، فانجذبت نحوها، وارتطمت في اوحالها، فلن تخرج بعد اليوم من دنيا الغازات والحوامض والقلويات والمعادن . . .

وقد يكون الطموح اغرب ما في الحياة الروحية من تجارب، وان كان شائعاً في الافراد – لا في الجمـاعات ! – شيوعاً يفوق انتشار الكذب في الاوساط السياسية ! وكأني بك الآن، وانت لم تفكر في يوم من الايام في تحليل الطموح، تستعرض صور الطامحين في التاريخ، وتتذكر اشباههم من خلطائك، واتباعهم في محيطك، والمعجبين بهم من اصدقائك ! الا ان الطموح : ذلك المعنى الذي يدفع بالمرء ابداً ودائمـاً الى اعلى، ليس من الوضوح والبساطة بحيث يعيه الذهن في استعراض التـاريخ، ودراسة الطامحين، وانما ينبغي لنا ان نحصره بين احط حالات الحيـاة في طرف، واسمى آفاق الحياة في طرف آخر، ثم نتملى من مظاهره وألوانه ودرجاته بين الطرفين . . . وكيف لنا ان ندرك اسمى الآفاق وما من احد قد وصل اليها بعد ?? ومن اين لنا ان نحكم على حالة ما بالانحطاط او السمو، والحكم في هذا الموقف مغامرة لا يقوم بها الا نابغة او ابله ??.

ولكن لكل انسان حيزاً من الامكانيات لا يعرفه غيره، فـاذا انسجم طموحه مع امكانياته الذاتية المجهولة، وسار نحو غاياته بوعي وحكمة، كان طموحه معقولاً، واذا لم تكن هناك أية نسبة بين الاماني والامكانيات . فالطموح اذ ذاك ضرب من الجنون .

بيد ان الجنون نفسه، وهو فنون، يكون تارة جنونـاً « معقولاً »، وتارة جنوناً غير معقول، فهو في الاولى اتجاه فكري صحيح يصطـدم بالواقع ويخفق، ومنه جنون العبقرية، وهو في الثانية انحراف اساسي في اتجاه التفكير، ينشأ عن سقم في الفهم، وضعف في النفس، ومنه جنون الحرص وجنون الشهرة الخ . .

وقد عرف العرب نوعاً من الجنون المعقول، لم تعرفه غيرهم من الامم ألا وهو الطموح للنبوّة، ونبغ فيهم افراد لم تكن عظمة الدنيا، او حب السيطرة، ليثير فيهم رغبة في العمل، او ليهزهم الى النضال، بمقدار ما كانوا يجدون في النبوّة من جمال وجلال . وذلك قبل الاسلام .

وكان اول من طمح لان يكون نبياً – والطموح غير الادعاء

– هو أمية ابن ابي الصلت الثقفي .

– ١ –

نشأ هذا الرجل في الطائف، والطائف في ديوان العروبة قصيدة عصماء، او هي من بيدائها واحة غناء، رق هواؤها، وعذب ماؤها، فبسق فيها النخيل، وامتدت في حواشيها الاعناب، وقامت ابنيتها في هذا الجو العاطر المشبع بالنعمة مقاصير يحلو بها الغزل، وترتع في حناياها الصبايا العربيات من كل قطوف الخطى، بعيدة مهوى القرط، ريّا الروادف، يخجل الخطي قوامها، وتستبي الراهب الحاظها.

وهو من بني ثقيف، وثقيف هي القبيلة التي انجبت الحجاج طاغية العرب الذي اعاد في المسلمين سيرة التبابعة من عتاة اليمن وملوكها، ومنها تحدر المختار الثقفي الذي اخذ بثأر الحسين بن علي، ورد واقعة كربلا على اعوان يزيد، واصلاهم حرباً ابادت ما بقي منهم ... وابوه عبدالله بن زمعة من اعيان قومه في الجاهلية، وقد كني بأبي الصلت لما عرف عنه من الشدة والحزم (الصلت لغة هو: الشجاع الماضي في الحوائج) اما امه فهي بنت عبد شمس بن عبد مناف، واسمها رقية، قرشية النجار، تضرب في أعراقها الى اجداد الرسول العربي.

وهكذا يكون امية في بيئته وتاريخه ذا مزايا لم تتوفر لغيره. فاذا تحريت ثقافته وجدت انه كان على صلة متينة الاسباب بنصارى الجزيرة والشام يومذاك، يرتاد كنائسهم، ويسمع اقوالهم، ويقرأ اسفارهم، كما كان على صلة بالفرس والاحباش من جيرانه، الذين كانوا يجوبون المدن العربية (صنعاء، الطائف، يثرب) بين حين وآخر في مهمات تجارية. وامية ذاته كان يشتغل بالتجارة، مما فتح له اقطاراً جديدة في التفكير، ولا يبعد ان يكون قد افاد من لغات السريان والاحباش والعبرانيين الذين احتك بهم احتكاكاً مباشراً فنمت ثروته العقلية والادبية.

وما ان اطّلع صاحبنا على التوراة، وعرف ما كان من امر سليمان وارميا واشعيا وحزقيل وغيرهم من انبياء اسرائيل حتى فكر جدياً في ان يكون هو نفسه نبياً من انبياء العرب، ولمَ لا يكون نبياً، وهؤلاء الاسرائيليون، على ما رأى في كتبهم، وسمع من دعاتهم لا يفوقونه في نجابتهم ولا في معارفهم؟ وربما بلغ به الغرور – او الطموح! – ان يحسب نفسه يفوقهم في بيانه وفصاحته فهو عربي، وهم اهل الرطانة والعجمة!!

واستحوذت عليه هذه الفكرة استحواذاً شاملاً الى ان انبثت اصولها في احساسه، واخذت تظهر في تصرفاته، فهيهات بعد ان يزحزحها مزحزح! وهو يريد ان يكون مهما كلفه الامر، نبياً.

– ٢ –

.. والفكرة من طبيعتها تجنح لان تصير عملاً، فاذا تمكنت من رأس صاحبها، واحتلت مركز فعاليته، استطاعت حينئذ ان تصرف جهوده كلها تصريفاً يأتلف مع غايتها، ويساير وجهتها. وهذا ما حدث لامية الثقفي، اذ طفق، بوحي من نبوته المنشودة، يتأمل الاكوان، ويفكر في ظواهر الافلاك، ويخلو مرة الى نفسه، وينفرد في الصحراء مرة اخرى الى ان خالجه احساس غامض ... بعيد، بعيد، كان يتضح رويداً رويداً، واذا هو يكتشف خالقه، ويهتدي الى التوحيد:

... فسبحان من لا يعرف الخلق قدره
ومن هو فوق العرش فرد موحد
ومن لم تنازعه الخلائق ملكه
وان لم تفرّده العباد فمفرد

ولكنه، وهو في هذه المرحلة الدقيقة من وساوسه واوهامه، لم ينس نقطة هامة في تاريخ شخصيته، وهي انه هو الذي اراد النبوة، وحمل نفسه قسراً على تعشقها، فاذا صح وتراءت له بعض الصور، او همست في اذنه بعض الاصداء، فسيكون هو اول من يشك بما يبصر او يسمع لانها لم تأته عفواً، بل جاءته بعد استصراخ ملح وشوق حار، فما يدريه انها هي النبوة او غيرها؟! ولذلك، لم يجسر المسكين على ادعاء النبوة، ولا على دعوة الناس الى ما خيل له، في فترة من الزمن، انه الحق من ربه!

وهنا اضطرب ... وكان اضطرابه فاجعة روحية من آلم الفواجع التي لم يسجل لها التاريخ مثيلاً، على كثرة ما حفظ وسجل من مآسي الابطال والعشاق، فقد أخذ امية يهذي هذيان المحموم، ويخلع على ربه من الصفات والاسماء ما لا قبل لاحد بفهمها مثل «تغرور» و «سليطط» ويقول عن السماء آناً «صاقورة»، وآناً «حاقورة» الى ما هنالك من الالفاظ التي حدت بعلماء اللغة الى اسقاط اسمه من ثبت الثقاة، وجعلتهم يتحامون الاعتداد بكلامه او الاستشهاد بشعره.

ولو وقف اضطرابه عند هذا الحد لهان الامر، ولكن الخلل تسرب الى حياته العائلية، فنفر ابنه منه، وما كان الا ان هجاه قائلاً له:

غذوتك مولوداً وعلتك يافعاً … تعل بما ادني اليك وتنهل
اذا ليلة نابتك بالداء لم ابت … لشكواك الا ساهراً اتململ

كأني انا المطروق دونك بالذي طرقت به دوني فعيناي تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وانني لاعلم ان الموت حتم موجل
فلما بلغت السن والغاية التي اليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة كأنك انت المنعم المتفضل
زعمت بأني قد كبرت وعبتني ولم يمض لي في السن ستون كمل
تراقب مني عثرة كي تنالها هبلت، وهذا منك رأي مضلل .

— ٣ —

. . . وسترافقه هذه «النزفزة» الشعرية التي تثير الالم والضحك معاً ، الى آخر حياته ، وسيظل هذا الرجل يكابد في اعماقه طرازاً جديداً من الحيرة لا سبيل الى وصفه وايضاحه لما ينطوي تحته من نقائض ، ويرسب في اغواره من عجائب .

ولكنه في انبعاث شاعريته ، وتدفق قريحته يشبه ابا الطيب المتنبي ، فقد كان هذا الاخير يطمح الى الحكم والولاية ، وكان يحس من نفسه الكفاءة التي لا يضطلع بشيء منها عبد مثل كافور، حتى ولا سيد مثل سيف الدولة ، فما فتيء طموحه يعتلي ويغتلي الى ان انفجر في اشعاره ، وتمثل في حكمته ، واصبح فيما بعد علماً من اعلام الشعر ، وهو لو اتيح له ان يتولى وان يحكم لما قال بيتاً واحداً .

كذلك هو الشأن مع امية ، فان المسافة التي تفصله عن امنيته، وهي النبوه ، جعلته ينفس عن عذابه الداخلي بهذه الاشعار الغريبة التي لا تعدو في جملتها ان تكون تمجيداً للخالق ، وتذكيراً بالائه، وتبصيراً بعظمته . غير انه ، وهو ينشد طلبة لم تكن يوماً من الايام لتطلب ، ولا هي في متناول احد من سكان الارض، كانت احاسيسه وافكاره مذبذبة موزعة ، يتخاطفها الواقع الذي يعيشه، والامل الالهي الذي يأمله .

وظهر اثر هذه الذبذبات النفسية في شعره ، كما تمثل عارياً في حياته الخاصة ، فتراه يمدح بعض الاشخاص امتداح المتسول الوضيع فلا تميزه عن الحطيئة، وتراه يفخر بقومه افتخار السري الشريف فلا تميزه عن ابي فراس ، وتراه يلقي الحكمة القاء عارف مجرب فلا تميزه عن زهير ابن ابي سلمى ، وهو في جميع هذه المواقف غامض الشخصية ، مبهم الطلعة ، تختلف موسيقى نفسيته بين بيت وبيت ، وتتباين اهتزازات عواطفه بين قافية وقافية ، فلا تلبث وانت تقرؤه ان تشعر بفصول فاجعة روحية تجتاح اعماقه ، وتتوارى خلف ستار كثيف من الشؤون العادية ، والكلمات المصفوفة . .

وقد بلغت هذه الفاجعة ذروتها حين اخبروه ذات يوم ان قرشياً من ابناء مكة ظهر في العرب يدعو الناس الى دين جديد، فقد وقع عليه النبأ كالصاعقة ، وقال ، ولم يتمالك عن اظهار حسده : « هذا ما كنت ارجو ان اكونه » . وما هدأت العاصفة في نفسه ، وناب الى وعيه ، وتوالت عليه آيات القرآن ، حتى فكر في اعتناق العقيدة الجديدة ، سيما وان خطوطها الكبرى ماثلة في ذهنه ، فما عليه الا الاعلان والاذعان .

شهد ان لا اله الا الله ، اما ان محمداً رسول الله ، فتلك قضية يصعب عليه ان يشهد بها، لا لانها تعارض الحقيقة، او تخالف الواقع، بل لانه كان يتمنى ان يشهد الناس ان امية الثقفي رسول الله ! . .
وما زالت المشكلة تروح وتغدو في رأسه حتى اعتزم في النهاية على المثول بين يدي النبي الحقيقي . ومذ صحت عزيمته ، نظم قصيدة لينشده اياها . . ولكن مناوئي الدعوة من قريش ، قطعوا عليه الطريق ، واخبروه ما كان من امر الانصار مع ابني خاله عتبة وشيبة اللذين قتلا في موقعة بدر ، فجاءته هذه القصة تبريراً كافياً لما يستشعر من تردد، فتعلق عليها ذريعة للانكفاء والتنكر للرسالة الاسلامية وحاملها .

عاد الى الطائف، وهو لا يتبين ملياً ما يجيش في نفسه، لكثرة ما اختلطت في ذهنه الافكار ، وتشعبت امامه السبل . وكأن ضميره استيقظ ، بعد زمن من هذه العودة ، فاستولت عليه احلامه الاولى ، التي كانت تومض في خاطره ، وتشد عزيمته ، وتلقي على فؤاده ظلًا ظليلا من الدعة والطمأنينة « يوم كان يحس باشياء لا يحس بها غيره ، ويبصر في الاكوان ما لا يبصره غيره » .

وتلك هي النهاية ! فقد اطل امية على خرائب الماضي ، وشاهد من قمة السبعين اباطيل الحياة وشرورها ، فصرخ وعزريل مطيف به :

ليتني- كنت قبل ما قد بدا لي - في رؤوس الجبال ارعى الوعولا

وتذكر ربه قبل ان يلفظ آخر نفس، فاسلم الروح وهو يقول :

ان تغفر اللهم تغفر جماً واي عبد لك ، لا ألمَّا

مسكين امية ، اراد ان يكون نبياً ، فخرج من الدنيا شاعرا . . .

بنت جبيل عبد اللطيف شرارة

جنة الشوق

*

« اتاح لي الاستاذ الكبير الدكتور طه حسين بك
ان اقضي ليلة كاملة في جنته الخالدة التي ابى الا
ان ينثر الشوك على جانبيها وفي ارضها وسمائها
حتى غدت بحق – جنة الشوك – ولذلك
خرجت منها دامي النفس جريح القلب
مثخن الفؤاد اكاد اتعثر واتردى بين
كل لفظ جديد او معنى يرمي الى
بعيد او قصد لا يعرفه الا الله
والدكتور الكبير حتى آمنت بما
جاء في المقدمة من ان هذا اللون من
الادب لا تعرفه العرب وانه جديد على
لغة الضاد غريب عن الناطقين بها . ولكني
مع ذلك استطعت ان اخرج من هذه الجنة
بجنة اخرى اظنها عطرة عبقة لذلك سميتها – جنة
الشوق – واهديتها الى جنة الشوك »

•

بقلم امين يوسف غراب

•

القاهرة

قبلة

قال التلميذ الفتى لاستاذه الشيخ :
ماذا تقول في نار تحرق ولا تحترق . ودر في الجمر يأتلق .
وحب يذكي الاثنين ليصلح ذات البين .
قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتى :
لقد هممت ان اكون بك ضيق الذرع يا بني .
اما النار التي تحرق ولا تحترق فهي جذوة الشفاه عند غض المقل .
والدر الذي في الجمر يأتلق ائتلاق الثنايا في جحيم القبل – اما الحب
الذي يذكي الاثنين ليصلح ذات البين فهو الرضاب الذي يخلق من
سقر جنة عرضها السموات والارض .

غدير

قال التلميذ الفتى لاستاذه الشيخ :
ماذا تقول في شفق لا ينساب . وغسق لا ينجاب . ونهر بين
برزخين منبعه في مصبه .
قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتي :
اما الشفق الذي لا ينساب يا بني فهو حمرة الخد الاسيل . والغسق
الذي لا ينجاب ظلمة الشعر الاثيل اما النهر الذي بين برزخين
ومنبعه في مصبه فهو الغدير المترقرق المنساب بين النهدين .

نشوة

قال التلميذ الفتى لاستاذه الشيخ :
ما قولك في صدر سافر . وثدي نافر . وساق رعناء .
قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتى مبتسماً :
اما الصدر السافر يا بني فهو الدنيا تطارحك . والثدي النافر اخطارها
تحاذرك . اما الساق الرعناء فهي ارغول النشوة الكبرى .

جدول

قال التلميذ الفتي لاستاذه الشيخ :
ما قولك في صدر حالم عبق . وثدي غرير ترق . ونحر كأنه المرمر .
قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتي دهشاً :
اين تقضي هزيع ليلك يا بني .
قال التلميذ الفتى خجلاً :
عند الخميلة وعلى الشاطيء اصغي الى تدفق الجدول .
قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتى :
اما الصدر الحالم العبق يا بني فهو صفحة الجدول الوسنان . والثدي
الغرير الترق ثورة الموج الولهان اما النحر الذي كأنه المرمر فهو
القمر يصب ضحكاته على الاثنين .

لحظ

قرأت في سفر الاشواق لمؤلفه صريع المشاق ثلاثة اشياء لم افهمها .
فهل لك ان تدلني عليها .

قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : وما هي ؟
قال التلميذ الفتي لاستاذه الشيخ :
ما قولك في فلق في ليل حالك . وغسق في صبح ضاحك . وسيف لا غمد له .
قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتي :
اما الفلق في الليل الحالك يا بني فهو ومضات العيون الدعجء والغسق في الصبح الضاحك خيالات الاهداب الوطف . اما السيف الذي لا غمد له فوقاك الله شره يا بني الم تعرف قصة اللحظ .
قال التلميذ الفتي وكان اديباً : وما قصة اللحظ ؟
قال الاستاذ الشيخ وكان اديباً :
زعموا يا بني ان امرأتين تراهنتا على رجل فاقسمت احداهن ان تصرعه . ومر الرجل صدفة في الطريق فتصدت له . ثم نظرت اليه شاهرة الطرف . منكسرة الجفن مسترخية الاهداب ثم القت بالنبال . اما هي فانصرفت بعد ذلك متوردة الخد مسترخية الاعطاف .
اما هو فانصرف يشكو طعنة سيف ذي نصلين .
اما تلك فانصرفت تردد قول الشاعر القديم :
جفناك اجما الجرىء على دمي — بابي هما من قـاتل وشريك
بالسيف والسحر المبين وبالطلى — حملًا علي وبالقنـا المشبوك
وكانت صلاة العشاء قد اذنت فانصرف الشيخ الى المسجد وهو يدعو الى تلميذه الفتي بالتوفيق والنجح .

امتحان

ولما كان اليوم الثاني قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتي :
لقد سألتني كثيراً يا بني فهل لي ان اسألك قليلًا .
قال التلميذ الفتي لاستاذه الشيخ : فان اجبتك .
قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : اجزتك .

عجب

قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتي :
لماذا الجفن المنكسر المنهوك يقوم من القلب مقام السيف من العنق .
قال التلميذ الفتي لاستاذه الشيخ :
لان نفس الهوى عجب .

شفاه

قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتي :
ما بال الشفاه الغليظة لا تعيش في الاصقاع الشمالية .
قال التلميذ الفتي لاستاذه الشيخ :
لان الجذوة لا تتقد نارها الا في المناطق الحارة .

شهوة

قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتي :
ما بال فلانة خرجت عن طورها فراحت تتبرد في الجحيم .
قال التلميذ الفتي لاستاذه الشيخ :
لان الشهوة ان لمست امرأة جعلتها كالطائر الضال في تيه الصحراء فلا يعنيه الا الغصن الذي يقيه لفحاتها . سواء كان ذلك الغصن بين اشواك السنط الشائكة ام بين افواف الزهر الرطيب .

صدر

قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتي :
ما بال صدر فلانة كان اجمل صدر في الحفل .
قال التلميذ الفتي لاستاذه الشيخ :
لانه مستقيم الجنبات . عريض السطح . راقص التثني . لين التموجات . عزيز على نفسه حريص على غيره فخور بتوأميه .

حلم

قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتي :
ما بال فلانة اذهلتها القبلة عن عينيها فلم تفتحها .
قال التلميذ الفتي لاستاذه الشيخ :
لانها خشيت ان يتبدد الحلم .

طفل

قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتي :
ما بال ثدي فلانة يرنو اليك كجبار .
قال التلميذ الفتي لاستاذه الشيخ :
لانني ارنو اليه كطفل .

ثرثرة

قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتي :
ما بال ظهر فلانة يميل الى الثرثرة احياناً .
قال التلميذ الفتي لاستاذه الشيخ :
لانه يحدث كل من يتبعه .

جنة

قال الشيخ لتلميذه الفتي :
لماذا المرأة لا تنسى القبلة الاولى .
قال التلميذ الفتي لاستاذه الشيخ :
لانها الطريق الذي وصلها الى الجنة .

سقوط

وصمت الاستاذ الشيخ قليلًا ثم هم ان يواصل اسئلته ولكن الفتى قاطعه قائلا :
لقد سألتني عن المرأة فلماذا لا تسألني عن الرجل .
قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتي وهو ينصرف آسفاً :
لو لم تقل هذا يا بني لاجزتك وارحتك من عناء الدرس والتحصيل .

القاهرة — امين يوسف غراب

الشقيـــة في البشرية

بقلم الاب مرمرجي الدومنكي
من المعهد الكتابي والاثاري في القدس

☆



قسمة الاجناس الى نوعين او شقين موجودة في عامة مواليد الطبيعة الحية. وهي ظاهرة تزداد بياناً وجلاء كلما زادت الحياة، وقل نقصان التركيب العضوي . لا بل تشاهد آثارها حيث يخال ان لا وجود للحياة . اننا اذا بالغنا في التقصي في نظرية قوام الشق، لاح لنا ان الشقية سنة شاملة، شبه سنة الحياة التي من شأن الشقية نشرها. وبالحق ان الذكرية هي العنصر الفاعل، والانثوية العنصر المنفعل. والكائنات باسرها لا تخلو من ان تكون فاعلة او منفعلة بعضها بالنسبة الى بعض؛ وذلك حسبما تكون ناقلة الحياة او قابلتهـــا، سواء كان الشأن في النظام الحسي، ام في النظام الروحي؛ في نشر الحياة العضوية، كما في بث الحياة الادبية .

الله وحده هو الفاعل العام غير الخاضع لادنى نفوذ . وعمله – طبقاً لتعليم الفلسفة الجدلية – فعل محض غير منقطع وهو – حسب شهادة الانجيل – الاب الوحيد الذي في السماء . الخالق هو مصدر الوجود لا غيره، والمؤثر دائماً في خلائقه : ماداً اياها بالحياة عن طريق سيّاله النافع . ففي الطبقة العليا هو بمثابة شمس للارواح، ينشر عليها، بفضل آلائه السنية، حرارة النفس ونور العقل اما في الطبقة السفلى فنوره الساطع بالشمس المادية يخصب جوف الارض باحيائه البذور التي تحويها . وهذا الكوكب النهاري يقوم لدى الارض ومنتوجاتها بوظيفة الزوج والاب . وعلاقة الغبراء بالزرقاء ضرب من القران الناجم عنه هذه الكثرة من الموجودات العائمة في اعماق البحار، او المرتجة فوق سطح البسيطة .

على ان الشقين البشريين – بصفة كونهما فرعين لجنس واحد – لهما خواص جنسية، وخواص نوعية؛ اعني ان للرجل والمرأة سمات جامعة، وسمات فارقة . ومع كونهما حاصلين على العناصر المقومة للبشرية – اي النفس والجسد ومتعلقاتهما – فهما يختلفـــان بمقايسة هذه العناصر . ولهذا فانهما – وان كانا متساويين بالطبيعة، ومتمتعين بقوى متشابهة – فهما متباينان بالحقيقة بالنظر الى درجات هذه الخواص وهذا ما يحدد الموقف الخاص لكل منهما في الحالة الزواجية . واذ كانا كلاهما عاقلين وحرين، فكل منهما يتقدم الى الآخر مالكاً حقوقاً خاصة .

فاستناداً الى هذه الحجة، حجة الحقوق الطبيعية الحائزها كل من الشقين يكون من قبيل الحط من المقام الانساني، ومن باب الاثم في حق البشرية، ظلم المرأة جوراً، واستخدامها سلعة ومتاعاً . ومع هذا فهذه كانت حالة المرأة في العالم القديم، ولم يحررها من نير العبودية الا الرقي الاخلاقي والاجتماعي النافذة فيه قوة الشرائع الدينية . الا ان الدين – بارجاعه الى المرأة شرفها وحقوقها – لم يقصد مساواتها بالرجل كل المساواة، سواء في البيئة العائلية ام في الالفة الاجتماعية . بيد ان الخالق سبحانه قد ضاعف السلطان الذي نالته من الطبيعة، فخولها من الجهة الواحدة الحرية في ان تحب من تشاء، وان تهب ذاتها لمن يعجبها، بموجب السنن المعقولة والمرعية، ومن الجهة الاخرى قد زينها بالفضائل الادبية التي تزيد الجمال رونقاً والوقار ابهة وعظمة .

على ان الفلسفة البشرية تهدم غالب الاحيان ما تدعي اصلاحه . فان افلاطون الفيلسوف العظيم قد افسد طبيعة المرأة في «جمهوريته» حين سعى في ان يرد اليها حقوقها وشرف مقامها . فقد قصد اجتناب

الافراط فوقع في الافراط المعاكس . اجل انه اخرجها من سجن التحجب ، فرماها في ميدان المصارعة ، كما لو كانت معدة خَلقاً وخُلُقاً لمساهمة الرجل في الاشغال والمهن الشاقة .

في عصرنا هذا كذلك يحاول انصار النسوية المعادلة بين مقام المرأة ومقام الرجل في كل شيء، داعين اياها الى مسابقته ومزاحمته في ميدان مختلف المشاريع والوظائف العامة ، والمسالك الحرة . فما كان منهم ، في سعيهم هذا ، الا ان انزلوها من سامي مقامها الى حضيض الابتذال . ومغبة هذه المحاولات وخيمة ؛ لانها بتغييرها احوال الشقين تنشيء تنافراً في علاقتها الطبيعية . وبذلك تفسد الزواج ، وتهدم العائلة ، وبهدمها الاسرة تقوض اركان الهيئة الاجتماعية .

هناك ملاحظة اخرى تبين ضعف هذه المدعيات ، وهي انه ان كان الشقان متساويين في كل شيء . فلا ينجم بينهما سوى التباعد عوض التقارب . وذلك لانه لا واحد منها يجد في الآخر ما يرغب فيه ، وما به يسد نقصه . وبالحق ان اختلاف الرجل والمرأة ونقصان كل منهما في ناحية من النواحي ، لما يجذب احدهما نحو الآخر ، حتى ينشأ من اتحادهما مزيج ملائم يكمّل كليهما والا فتكون الطبيعة قد فقدت غايتها ، هي التي اقامها الخالق لتؤمّن بالجاذبية المتبادلة بين الشقين ، مواصلة انتشار الحياة ، وصيانة الانواع وتخليد الجنس البشري . فلنمرّ بشيء من التفصيل ما هي الفوارق الطبيعية بين الرجل والمرأة .

ان الرجل ، لامتلاكه بغزارة فياضة حياة الجسد وحياة العقل، نراه مدفوعاً بدافع الغريزة الى اشراك غيره في ما فيه من الفيض . من ذلك جاء نشاطه الطبيعي وسائر اساليب توسعه . فالقوة ذات التبسط السائدة فيه تتجلى بتركيب آية في المتانة وباشكال صلبة رشيقة . ومن نقصان الشق الذكر ، اي من قلة قوة الجذب فيه يحصل ضعف قابلية التأثر والحياة الباطنية .

لكل شق خاصة نوعية تعين تركيبه وطريقة وجوده ووظائفه الشخصية . فخاصية الرجل نقل الحياة . ولذا اقتضى ان تكون فيه غريزة فياضة . الا ان الحياة البشرية ليست طبيعية وعضوية وحسب ، بل هي ايضاً عقلية وادبية . ومن هذا القبيل ، يتدفق ملء الرجل عن سبيل نشاط العقل والارادة . ففي وسعه ان يصبح أباً بالروح ، كما في استطاعته ان يكون أباً بالجسد . وغريزة شقه تولد فيه دون انقطاع الهمة الخارجية . فهو مفتقر دائماً الى الحركة والرياضة والكد ، باستخدام اعضاء الجسد ، ان كان قليل الذكاء والثقافة ، وبالروح وقواه العقلية ، ان كان مثقفاً ، او عالماً ، او فناناً .

وهذه القوة ذات الانبساط السائدة في الرجل توجد كذلك في جميع اساليب حياته . فهو متفوق على المرأة بكل ما يجري في الخارج : بنشاط الجسم ، بتوقد القريحة ، بمدى الادراك ، بمضاء العزيمة . فهو قابض على مقاليد الزعامة ، وله الحق في تدبير العائلة والمجتمع في العالم . ومن خصائصه الادارة والحكم ، لانه الرأس الملائم كل الملائمة للجمعية الطبيعية ، فمن طبع عقله ان يسرح ويمرح في ميدان النظريات الفلسفية ، والاختراعات العلمية ، كما ان من ميل جسمه الحركة والرياضة والتنقل في العالم . ارادته حازمة ، تجزم فتأمر ، تضرب فتكسر ، طبقاً للميل الوقتي . بيد انها — على مثال كل الاشياء العنيفة لا تعتم ان تتراخى بمقدار ما اشتدت قوتها .

على ان الحياة المتدفقة بهذا التيار الى الخارج تضعف في الباطن . ولذا فمن باب الاطلاق نرى الرجال اقل شعوراً ، وانقص دقة من النساء ، في الشؤون المنوطة بالقلب ، ودونهن ثباتاً في العلاقات الودية، والمقاصد العملية . واذ كانوا من حيث العقل ، مشغولين في التفكر، وعائشين ، خاصة بادمغتهم ، العيشة العقلية ، فهم احط درجة من حيث الجدارة لحياة الروح وجمع الحواس والورع ، مما ينبغي لهم معه جهد جهيد ، وعناء جسيم للولوج في داخلهم ، والاستقرار فيه .

تلك هي خواص الرجل : خواص بدنية من آداب مدمجة موثقة ، وعضلات مكتنزة ، واعصاب منتبهة ، من دماغ واسع ، ونعمان قان ، وجنان ريان ، من قد رشيق ، وطلعة بهية . خواص روحانية من عقل ثاقب ، وفكر حاد ، وحافظة غريبة ، وذاكرة فريدة ، ومخيلة مدخلة . خواص ادبية . من ارادة حازمة ، وعزية ماضية ، واقدام ببسالة ، وجلد دون كلالة .

الا ان هذه المزايا — شأن كل البشريات — مشوبة بآفات . فمن آفات صفات البدن في الرجل اعتماده على القوة البدنية ، واساءته استخدامها ، لما هو مغروز فيه من الميل الى الجفاء ، والقسوة ، والبطش بمعزل عن استسلامه لسلطان الاهواء الحسية والتمتع بالملاذ المادية . ومن آفات قواه العقلية وما تنتجه من المعارف والعلوم والفنون والنظريات والمذاهب والاختراعات العجيبة ، تلك الآفة المقيتة ، آفة الكبرياء ، الدافعة صاحبها الى المباهاة والافتخار الفارغ ، والعجرفة والانتفاخ ، مع ما يرافقها طبعاً من التمسك بالرأي الخاص ، والعناد القبيح ، والاندفاع مع تيار المجادلات العنيفة والمدعيات السخيفة . ومن آفات صفاته الادبية التصلب في الارادة ، وحب الاستقلال

والاستبداد ، لا بل رفع راية التمرد والعصيان ، والطمع في الرفعة، والاستيلاء والاستعباد، والمعاملة بالظلم والجور، والاستخفاف بالضعفاء ، والضغط على الحريات والضمائر ، ومما اشبه ذلك من ضروب اهتضام الحقوق ، ومحق الشخصيات ، ولا سيما في مجال العلاقات بين الرجال والنساء .

على ان بين الرجال – وهم كثار – من يتوصلون الى تلافي هذه الآفات بما فيهم من قوة ادبية فائقة ، وبفعل ضبط الحواس ، وقمع الاهواء المنحرفة ، وتوخي الكمال من جميع الوجوه . وهذا سر تفوق هؤلاء القوم ، في جميع الاجيال ، على معاصريهم ، في مختلف العلوم والفنون وصنوف الاعمال العظيمة المذهلة ، وانواع المآتي الخيرية ، والاخلاق المحمودة، والخدمات المذكورة المشكورة في سبيل الاوطان والانسانية ، مما رقاهم الى ذرى البطولة ، فحق لهم ان يدعوا نوابغ البشرية ، لا بل ابطال الفضيلة والقداسة .

اما المرأة فهي مرآة خاصة بفرط قوة الجذب والانفعال ، حذاء فيضان القوة المسيطرة ، السائدة في الرجل ، فاذن علامتها الفارقة هي الجاذبية والانفعالية . وهذا ما يعين كيانها ، ويسمها بسمة تميز كل شخصها . فتبدى هذه الخاصية ، خاصية شقها ، في كل ما تعمله . اما نفسها فتختلف عن نفس الرجل ، لانها من طبيعتها اشد ميلاً الى الالتئام منها الى الانتشار . بينما نرى الرجل متحفزاً لرد الفعل لدى ادنى شعور يحس به ، نجد المرأة تدع شعورها ينفذ الى داخلها كأنها تتذوقه بلذة في اعماقها . فهي ذات عاطفة اشد وأرق ، لانها ابلغ تأثراً بالنفوذ . هي اوفر تمتعاً باللذة، لكنها اكثر عرضة للالم ، وارادتها تقاس بقياس شعورها . هي بعيدة عن الفظاظة والغيظ والعنف، ويشق عليها البروز من باطنها الى الخارج . بيد انها كلما تقلصت قواها على السطح ، غاصت غائرة الى القعر ، كأنها متجمعة على ذاتها . وان هي ذات مستخذية تحت بطش القوة القاهرة ، فذلك لا يعني استسلاماً منها . فهي كالقصبة التي تهزها الرياح ، تميل معها دون ان تنكسر . اجل انها ترجع الى داخلها لدى ادنى صدمة ، غير انها في عملها هذا تقصد الارتكاز والتثبت . اذ لا تعتم ان تعود الى الخروج اشد قوة ، لدى سنوح اول فرصة ، دون ملل ولا فشل، الى ان تبلغ ، عاجلاً ام آجلاً ، غايتها المقصودة . تؤسسها صبرها ، تجاه ارادة الرجل المسيطرة ، المتدفقة تدفق التيار ، والزائلة بسرعة كزواله .

المرأة على يقين راسخ من هذه القوة الكامنة فيها ، تعرفها بالغريزة او البصيرة . فتارة تستغلها ، وطوراً تسيء استعمالها . وبقدر ما عليه المرأة من العجز عن تقلد زمام الادارة الخارجية ، بقدر ذلك هي مزدانة بالاهلية للقيام باعباء التدابير الداخلية . الرجل يأمر في الخارج ، وهي تدبره ، دون علم منه ، بحملها اياه على ارادة ما تريده ، وبتلقينها اياه ما يجب عليه ان يعمله ، طبقاً للقول المأثور : غالباً ما يقود القوي ضعيف . وهكذا يرى الرجل السائد على العالم مصبحاً كثيراً ما آلة تتلاعب بها يد المرأة الخاضعة لسلطانه .

زد على هذا ان المرأة، بفضل انفعالها، قادرة على تجشم الآلام، ولا سيما الآلام المزمنة المستعصية . فسواء كان في الامراض ، ام في الضيقات ، تظهر المرأة من الصبر الجميل والتجلد العجيب ما قد لا يبدي الرجل مثله ، وهي تجد لذلك في طبعها مدخرات جد وافرة . فتصبح حقاً في مثل هذه الاحوال ، معينة للرجل باستفزازها همته ، باقوالها وامثالها ، ولا سيما ببذل نفسها ، دون ملل ولا احد .

وهذا الانعكاس الخاص بها ، انعكاس ذاتها على ذاتها ، يجعلها اعظم جدارة للحياة الباطنية ، واشد ميلاً الى الاعمال التقوية، واقوى اندفاعاً الى حياة التصوف . كلما فاقها الرجل في النظريات العلمية ، بمفعول قوة العارضة ، تفوقت هي عليه برقة الجنان ، وبليغ الشعور . كل شيء ينقلب الى فكر وتعقل ومعرفة وعلم في الرجال ، وكل شيء يستحيل شعوراً وانعطافاً ومحبة وهياماً في النساء . في نفوسهن يأوي الايمان في الازمان المشؤومة ، فيصان صيانة النار المقدسة في هيا كل العبادة ، ومن قلوبهن يعود فينتشر انتشاراً ساطعاً ، حسب ملاءمة الظروف .

على ان لهذه الجاذبية افراطاً ، هو احتكار المركزية . وهذا ما تندفع اليه المرأة اندفاعاً طبيعياً . فانها بؤرة متقدة تجذب كل شيء اليها ، تارة بفعل الغريزة ، دون علم منها ، واخرى بطريق المواربة ، لما هي عليه من الضعف . وهذا مصدر دلالها الفطري الخفي ، تحت مختلف الظواهر ، رغبتها بل هيامها بان تكون قبلة الانظار والقلوب ، بل قل الصنم الوحيد يعبد دون كل الاصنام . وفي هذا سر ميلها المفرط الى الاعتناء بالخارج دون الداخل، وولعها بوسائل التبرج . وهذا سبب اتباعها ، لا بل استعبادها ، للازياء الغريبة ، دون مراعاة للآداب والحشمة . من هذا ايضا صادر اكثارها الخطل الناجم عنه هتك اسرار الاقارب والاباعد، والحط من المقامات الرفيعة ، وطعن الشرف والمروءة . هذا ، واذا كانت المرأة خبيثة ، فالعياذ بالله ! فانها اذ ذاك تفوق شياطين الرجال خبثا، اذ تجذب الشر فتمضغه فتتمثله تمثلا بليغا . لكن اذا كانت صالحة ، فسبحان الله ! وتبارك الله ! فانها تكون حينئذ في الصلاح آية باهرة ،

اذ تبذل ذاتها دون منة في سبيل الخير ، فتصبح آلة بديعة بيده ، لا بل تعيش قديسة ، وتموت في سبيل حبه شهيدة .

من باب الاطلاق المرأة احط درجة من الرجل من حيث مزاولة العقليات العويصات ، اذ ان همها موجه غالب الاوقات الى الخصوصيات . فلا ذوق لها للامور النظرية والمبادىء العامة . على انها ان كانت لا تمارس الا قليل الممارسة ، قواها العقلية ، فهذا لا يصدها عن ابداء احكام لا تقل سداداً عن احكام الرجل في الشؤون العملية . فانها تميز الملائم ، وكثيراً ما يدلها الشعور احسن من التفكر . ولهذا فحكمها من أصوب الاحكام في ما يعود الى المودات والاذواق واللياقات ، ولا سيما حيث يقتضي من الحذاقة النظرية اكثر مما يلزم من العلوم المكتسبة . فهي ، بنوع عام ، اسلم ذوقا ، لانها اقل معرفة وهي عائشة بصحبة الطبيعة ازيد من عيشها بين الاسفار والاقلام والمحابر ، مما ينشأ عنه البساطة ، والصدق في اسلوب نظرها الى الامور .

يروى عن موليير ، الشاعر الفرنسي الذائع الصيت ، انه كان يتلو مسرحياته على مماع وصيفته ، قبل ان يبعث بها الى ارباب دور التمثيل وبناء على شهادة هذه المرأة الساذجة الجاهلة ، كان يقدر ملاحظاته ، وملاءمة السخرية والاهانة في تصويراته .

ان المرأة ، لعدم ارتباكها بالاهواء والاغراض الملازمة لحياة الرجل ، حياة المعترك الاجتماعي ، تكون غالبا ، مشيرة حكيمة فهي تبدي رأياً صائباً ، لانها ترى رؤية ساذجة ، وتبت حكمها بتاً سريعاً ، لانها تشعر اكثر مما تفكر .

القصارى ان الطبيعة الانسانية متجلية في المرأة كما في الرجل ، بمحاسنها وشوائبها ، بما جمل في كليهما الغرائز الطيبة والشمائل الحميدة متمازجة بالسلائق الخبيثة ، والخصائل الذميمة . والناجم عن المقارنة ان المرأة — وان كانت مغايرة للرجل من ناحية الخواص الفارقة المنوطة بالشقية — فهي مزدانة بكمالات لا تقل خطورة عن كمالاته ، ولها الاثر البليغ في البشرية ، بما انها نصفها الضروري ، كالنصف الآخر ، لقوامها وحياتها وتقدمها في سبيل الرقي . ولله در نابليون القائل : « ان المرأة التي تهز المهد بيسراها ، تهز العالم بيمناها » .

ومن الملائم ان نورد مسكاً للختام القصة التالية دليلاً على مكانة المرأة الخطيرة والعزيزة في الالفة الاجتماعية وعلى عامة القلوب البشرية . روى احد الشعراء قال : اجتمع يوماً فريق من الخلان في مأدبة شائقة . وبعد ان ثمل الجميع بنشوة السرور والاغتباط ، اخذ كل منهم يشرب نخب حبيبته ، ما عدا احدهم كانت تلوح على محياه سيماء الحصافة والرصانة ، وقد لازم الصمت غير نابس ببنت شفة . فقال له احد الندماء : « نحن نشرب سر التي نهواها . فلما لا تعلن انت تلك التي تحبها ؟ » فاجابه قائلا : « اني اشرب سر التي بالروح تفديني وافديها . » فصرخ الجميع : « ومن هي ؟ » قال : « ان اللسان قاصر عن اعراب ما يكنه لبي من الحب لها » . فقال بعضهم : « لقد اصبح معتوهاً . » وحكم اخرون بان السلافة افقدته رشده . فقاطعهم بقوله : « هي التي تبذل الجهد الجهيد في سبيل راحتي وعافيتي . » وهي التي سهرت الليالي الطوال بغية جلب الرغد لبدني ، والطمأنينة لنفسي . » قالوا : « نرجوك بحياة التي هي اعز لديك من التبر واللآلى ، الا قل لنا من هي ؟ » قال : « هي التي تجشمت كل مشاق هذه الحياة حباً بي . » قالوا : « الى متى تشغل بالنا ، الا أجبنا . فقد عيل صبرنا . اللهم الا اذا كان من نيتك الهزء بنا ، او انك تخجل من ذكر اسم من تهواها . أيا ترى حسناء لا اسم لها . » فعندئذ تمتم خاشعاً : « امي ، هي امي » .

اجل ، ايها القراء الكرام ، ان الذي سما بالمرأة الى ذرى الشرف والمجد المؤثل ، وربعها في دست الكرامة والحرمة ، وجعلها موضوع المودة والحب والحنان في ألباب كل ابناء البشرية هو امومتها . فحيا الله المرأة وبياها وسقياً ورعياً المرأة ! لانها امنا . الا فلنحن الرؤوس مطأطئين صارخين : سلام والف سلام على النساء ، امهاتنا العزيزات !

القدس — الاب مرمرجي الدومنكي

• مشورات الحرب •

كان من المفروض ان يتقلص الانتـاج على نفسه في سنوات الحرب ... فازمة الورق وازمة المطابع وغيرها من ازمات القلق النفسي ، كل هذه الازمات احتشدت في معركة مع الانتاج !... ولكن الانتاج تغلب عليها ، فلم تنفع السوق السوداء للورق والفكر ، في كبح جماح الاقلام ، فكانت الكتب والنشرات تزدحم في المطابع والمكتبات ، انشط منها في ايام السلم !..

افاد هذا الانتاج ، واضر في آن واحد ، افاد في كونه حركة تأبى الوقوف ، وحياة تمتد وتكافح ... واضر بعضه في كونه وليد فوضى ، وصنعة ارتجال ، واداة لكسب مال !..

على ان الحرب رغم ما نتج في ايامهـا ستظل بضعة سنوات موضوعاً دسماً تتناوله اقلام قوية ، لتبدع فيه على ضوء ما كان وما يكون وما سيكون ، وسيتلاشى الضار من هذا الانتاج ، ويسلم المتحتم الحق ، وتصبح الحرب انتاجاً انسانياً نبيلاً لا مأجوراً ...

• في القصة •

لم تصل القصة بعد عندنا الى ما نصبو اليه ، فهي ما تزال عالة على حادث غريب ، او مفاجأة تدفع في السياق دفعا ، او هي في عقدتها غرام ينتهي بكارثة تودي بالحبيبة او بالحبيبين معاً في قبضة الموت ... دراماعنيفة .. هي خلو من ابسط الوان التحليل النفسي ، والتحليل النفسي في القصة عندنا يعتمد الذاكرة اكثر ممـا يعتمد التوليد والغوص ، لذلك تجيء القصة مجموعة لقصص قرأتها في اكثر من لغة واحدة لاكثر من كاتب واحد ... واذا استثنينا ثلاثة او اربعة من القاصين البـارعين ، وجدنا القطيع الطويل من رواد القصة في صحراء المحـاولة ، تبتدىء القصة عندهم لتنتهي حتماً ... كأن القاص موكول اليه الاشراف على النهاية وما بعد النهاية ... واي بأس على القاص اذا رافق حادثاً في الحياة الى ما قبل النهاية بشوط واحد ، الكل قصة نهـاية ؟... واكبر همي ان اقرأ قصة لا تعتمد الوصف الرتيب ، والفواجع المتراكمة ، قصة فيها من اعماق الانسان ، حنية من حنايا الرجاء او التأمل !..

• رفقاً بالشعر •

اترى كتب الله للشعر ان يظل في الدنيا العربية الجديـدة غريباً عنها ؟.. أليس التراب والماء والهواء والجو والرفاق والمرأة والذكريات ينابيع للشعر الحق !... اقرأ اليوم شعراً كثيراً يرفل على صفحات الجرائد والمجلات ، يصح ان يكون ناظمه صينياً او اميركياً او روسياً ... اترى بلغنـا الذروة الانسانية ؟... ولكن مهلاً .. فالقومية هي العالمية على صورة فيها ضيق ضروري للانفراج الذي يعقبه في التحليق الغامر ...

لست اوجه الشعراء ... انا انكر التوجيه في الفن ... ولكن السفينة تكاد تضيع بل تكاد تغرق في اللجج الزرقاء... لفتة مخلصة يا رفاق الى رمال الشاطيء... والى ما على الرمال...

واكبر الهم في الشعر عندنا ، ان الشعراء يسيرون - اكثرهم - في موكب واحد يتلاقون في اللفظة والخيال ، والوزن والقافية !... متى يتحررون ؟... لقد تحرر العلم من القاعدة ، تحرروا... رفقاً بالشعر !...

• ادب الغد •

اؤمن بالروح ، وستظل ، رغم مادية الغد ، التي تغمر طلائعها اليوم ، بالآلة والكهرباء ، والسرعة ، والطائرة التي تلف الدنيا في ايام معدودات .. لذلك ابدى بعضهم الخوف من ادب الغد ، وقالوا انه سيكون تسجيلاً جامداً آلياً لمقتضيات المادة دون الروح ، كأن الروح افلست افلاساً ذريعاً في سوق الحياة !.

على ان « ويلز » الكاتب الانكليزي الفذ ، الذي نشر على الناس كتابه « عالم الغد » يحارب هذه النظرية ، بل يبحثها كافتراض ان يكون ...

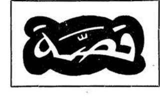
اذا كان من حق الغرب ، وهو بعد في اتون حرب ، ان يعالج قضايا الموت الروحي في الادب ، فمن حق الشرق ان يشد بالنواجذ على ادب النفس والروح ، على ان يفتض لها افاقاً واسعة للابداع والخلق !...

ادب الغد ، في دنيانا العربية ، ادب ثورة حميمة الصلة بثورتنا الاولى يوم خرجنا من بطن الجزيرة نحمل الشعلة لنضيء عالماً مظلماً ...

ادبنا في الغد ، ادب ثقة بالنفس ، وكفاح لها على حدود مادية تكاد تخنق كل شيء ... الا الروح ...

صلاح الاسير





بقلم سهيل ادريس

تلك كانت احب ساعة لديها، وآثرها الى نفسها . فان تلك الانغام تتصاعد من الاوتار، رقيقة مرهفة، تسمو بها الى جو تحفل به امنيات روحها الفتية، وآمال نفسها النابضة، المتفتحة رويداً رويداً للحياة .

كان يلذ لها ان تجلس الى الراديو في الصباح الباكر، تستمع الى نغمات الموسيقى الناعمة، تنخفض تارة، منسابة على مهل، فتغرق احاسيسها في نشوة الهدوء والسكون والاطمئنان، والاخلاد الى تلك الغمرة الهائمة من صبوات الفؤاد الحالم، وتعلو تارة مرتفعة، يتسع مداها على درجات، فتوقظ في نفسها شعور الطموح والحركة والانطلاق، ورغبة البلوغ العاجل الى ما تنزع اليه من لذة الحب ودنيا الاماني ...

لقد كانت « ميميا » اذ تستمع الى هذه الموسيقى في الصباح الباكر، تشعر بانها تتم شيئاً حبيباً الى نفسها : تستأنف حلماً لذاً راودها في الليلة الفائتة، ثم اذا به ينقطع فجأة، فتقاسي منه مرارة الحرمان ... اما الآن وهي في نشوة الالحان الموسيقية، فان ذلك الحلم ليكتمل فصولا ويتم ! .. وكانت ميميا تنتهز كل اوقات فراغها من الدرس والتحصيل، لتدير مفتاح الراديو على احدى المحطات، فتصيخ الى تلك الموسيقى الصامتة التي هي اكثر تعبيراً عن خوالج النفس ورغائب الروح من موسيقى الاغاني . وكانت اكثر اعجاباً واشد ميلاً الى الموسيقى المفردة الوترية، كأنغام « القيثار » و« الفيولنسيل » و« البيانو » . وكانت تحن بصورة خاصة الى نغمات الاكورديون والكمان . وكان قد سبق لها ان رغبت الى والدتها في ان تتعلم العزف على احدى هذه الآلات، فتهاونت والدتها في تلبية رغبتها، حتى ذلك المساء، اذ سمعت عزفاً منفرداً على الكمان، ملك عليها لبها، واخذ بمجامع شعورها، فألحت على امها ان تستدعي معلماً يعلمها العزف على هذه الآلة، وألحت في ذلك الحاحاً شديداً . والحق ان والدة ميميا كانت، الى ذلك الحين، تخشى اذا هي استدعت معلماً للموسيقى ان تنشأ بينه وبين ابنتها علائق من حب او وشائج من مودة، وانها لتعلم مبلغ حرارة الشعور وتيقظ الحس لدى ميميا، فضلا عن انها لم تُحس بعد الحب، وانها متهيئة النفس له، دانية الفؤاد من معالمه ...

*

وذات اصيل، شقت والدة ميميا الباب على ابنتها تقول بحيوية :

— اتدرين من بانتظارك يا ميميا ؟

فاحمر وجه الفتاة ... لقد كان اول سؤال يطرح عليها، فيوقظ فيها ذلك الشعور المتطلع الى معرفة شاب ... شاب جميل كالنهار ما فتيء يراود احلامها، ويعبث بامانيها ! ... وتابعت الوالدة كلامها :

— انه معلم الكمان يا ميميا .. هو بانتظارك في قاعة الاستقبال .

وسرعان ما خالجها شعور تهيب وخشية، وارتج عليها، فلم تدر ما ينبغي لها ان تفعل . وحين رأت والدتها تخرج، أحست انها تنساق الى خزانتها، ثم تنهمك بارتداء ثوبها الحريري الاخضر، وتصفيف شعرها وتزيين معصميها . وحين نظرت في المرآة، طالعتها لاول مرة صورة فتاة على غاية من الجمال والفتنة والجاذبية . بيد انها رأت على تقاسيم وجهها ملامح الاضطراب والخوف، وتلك الحيرة التي تتعاور المرء يقبل على عمل لا يعرف اناجح هو فيه ام مخفق ! ... وخرجت « ميميا » تكاد تتعثر بأذيالها . وكانت على يقين بان والدتها تنتظر قدومها فتدخلان معاً على معلم الموسيقى .. ولكنها لم تجدها . ومشت مضطربة الى غرفة الاستقبال ظانة انها قد سبقتها اليها ... واذ فتحت الباب، نظرت فلم تجد غير شخص واحد . ولم تشأ ان تتراجع، فتقدمت خطوات منتظرة ان يقوم لها المعلم ... ولكن هذا المعلم المنتحي في زاوية الغرفة امام النافذة لم يُبد حراكاً ... فتوقفت ميميا لحظة متأملة عن بعيد، واضعاً نظارتين، محتضناً كمانه، حانياً الى الامام ظهره ... ولكن لِمَ لا ينهض ؟

وتقدمت خطوات اخرى معتقدة انه لم يشعر بعد بوجودها، ثم بادرته بلهجة عذبة :

— بونسوار يا استاذ !

فانتفض معلم الموسيقى انتفاضة راعشة ، ونهض مضطرباً يجيب بخفوت هامس :

— بونسوار ايتها الآنسة .

ورأته يمد يده في الهواء ، راغباً في مصافحتها ، فاقتربت حتى دانته ، ومدت كفها تصافحه . ثم حدقت لحظات في وجهه ، فظلت نظراتها محددة في عينيه ... واحست انها ترتعش وتهتز ، وأنها لن تطيق بعد الوقوف ، فتراجعت حتى استندت الى كرسي قريب ... انها لم تكن تنتظر ان ترى شاباً ، اطفئت عيناه ، فهو لا يبصر النور ... انها لم تكن تتوقع ان يكون معلمها ضريراً ! ...
واذن فان هاتين النظارتين ، انما وضعتا لتسترا عماه ... ولهذا لم ترَ والدتها حاجة في ان تصحبها ، لتقدمها اليه : هو الاعمى !

... واخذت سميا تشعر ان خوفها واضطرابها يحولان شيئاً فشيئاً الى عاطفة اخرى : الى أسىً وشجو ، بل الى الم يشتد ويتفاقم حتى ليعصف بنفسها عصفاً ... واحست ان بودها ان تجد تعبيراً لهذا الالم يطغى ، وانها ترغب في ان تثور وتغضب ، فتمزق ثوبها الاخضر مثلاً ، او تدمي شفتيها ، او تجرح وجنتيها ...
لا ... لا ... بل ان تبكي فقط ... ان تحدر الدمع ، ان تتأسى وتتعزى بالبكاء من هذه الخيبة التي مني بها شعورها لاول مرة ، منذ ان بدأت تشعر ، وتتحسس ، وتفهم ، وتحيا ...

والتفتت سميا الى معلم الموسيقى ، فاذا هو يشد اوتار كمانه، وعاد بصرها ، على رعشة ، يحدق في عينيه : جفنين منطبقين لا تكاد تبين منها الا شعرات قليلة سوداء لا يخفق تحتها شيء ... انه لا يرى شيئاً ... بل هو يرى كل شيء ظلاماً دامساً ابدياً ... انه محروم من تلك النعمة الغالية التي تنقل الى النفس بهجة الحياة وجمالها وروعتها ..

واحست سميا ان غضبها ويأسها ولوعتها لتتضاءل كلها حتى التزول ، وان جماع عواطفها يستهدف الان هذا الشخص الجالس امامها ، المطبق العينين الى الابد ، بالرثاء والشفقة والعطف ... لقد كان بودها منذ لحظات ان تبكي لتتعزى من خيبة ... اما الان فان بودها ان تبكي لترثي لمعلمها .

وكان يخطر لها ، اذ كانت تستمع الى بعض الحان اولية يعزفها على الكمان ، ان تقترب ، فتجلس بلصقه ، وتتلمس يديه ورأسه وظهره ، وتربت على كتفه ، تحبباً اليه وتودداً . بل ان الرغبة عاودتها غير مرة في ان تصارحه القول بأنها ستكون صديقته ومعينته وحاميته الى الابد ، وان بوسعه ان يطلب اليها ما يريد ويرغب بما يشاء ...

*

... وكانت جالسة عن كثب منه تتأمله حاني الرأس فوق كمانه ، تروح يده وتجيء بالمعزف على الوتر ، باعثة الانغام اشتاتاً بين هامس خافت ، ممتلىء الجرس ، او مرتفع على مدى ، رقيق الصوت مرهفه . وكانت سميا تنظر الى « شفيق » وملء نظراتها اعجاب بالغ بهذه الموسيقى الرائعة ، تنبثق من بين اصابعه، فتستهوي الروح ، وتستنشي الحواس .

وكان قد مضى عليها شهران تتعلم العزف ، وتتلقن الالحان ، حتى وسعها ان تجلس وحدها ، حين تجد سانحة من وقتها ، فتعزف وتعزف حتى تكل ! وانها لتذكر الآن ما قاله لها ذات يوم ، بعد انتهائها من توقيع قطعة موسيقية كان علمها اياها : « ارى يا آنسة سميا ان استعدادك كبير في الموسيقى ، وارجو ان افخر يوماً بك ! » فشكرته بكلمات رقيقة ، وعزت اليه الفضل كله ...

وما لبثت طويلاً حتى انست به ، فكانت تحدثه عن كل ما يجول بفكرها ، فيجيبها بكلمات قصار ، بيد انها كلمات بليغة كانت تقدرها اعظم تقدير . ولكنها كانت الى ذلك الحين تتفادى ان تتكلم عن شيء واحد ، هو ، رغم ذلك ، يشغل فكرها ليل نهار ، ويعنّي احساسها ، ويجعلها تعيش في صحراء قاحلة ، كل ما فيها سراب سراب ... كانت تشعر ان في قلبها فراغاً كبيراً .. فراغاً مؤلماً تقاسي منه وتعاني ، وتصبو ابداً الى ان يمتلىء منه جانب بما يدعونه « الحب » ... هذا الشيء الجميل الرائع الذي تتداول به لداتها في المدرسة في غمرة من الآهات والشرود .. هذه العاطفة التي تذوب للتعرف بها .. هذه الاحلام الهائمة التي تغمغم بها روحها في هدأة الكرى ، وتبغم بها شفتاها كما يبغم الاطفال بانشودة سرمدية ساذجة !

اجل ! كانت قد حدثت معلمها «شفيق» عن المدرسة والدروس، والام والاسرة ، والكتب والمطالعات ... عن كل شيء ، الا هذا الشيء الذي تخشاه . وكان شفيق قد أجابها ما استطاع الى ذلك سبيلاً ، فتحدث عن الموسيقى والموسيقيين ، وعن تلامذته الذين يعلمهم العزف ، ولم يأت قط على ذكر ما يمت الى الهوى بصلة ..

وتنبهت سميا من غفلتها ، فأنحت بصرها الى ذلك الشاب القريب

منها يعزف بعض الحانه ، فنظرت الى عينيه المطفأتين ... ترى ؛ لو كان يبصر ، افما كان ينظر اليها .. هي سميا ، فيحدق في عينيها يرى فيهما الحنين والشوق ، بل اللوعة والوجد ؟ افما كان يرى الى جمالها هذا الفاتن ، وجسدها ذلك الساحر ، وقامتها المشرقة الملتفة؟ افما كان يعجب بها ، بل يحبها ، بل يعبدها عشقاً وصبابة ؟

ودنت سميا من معلم الموسيقى حتى اصبحت بلصقه ، واحست بشجاعة تدفعها للكلام عما صمتت عنه الى هذا الحين ، وقالت بصوت رقيق عذب ، ضاحكة بحيوية :

— حدثني يا استاذ شفيق عن كل شيء ، الا عن شيء واحد ، اخالك تتعمد الا تأتي على ذكره ! ...

— وما هو ايتها الآنسة سميا ؟

فاجابت بعذوبة

— هو الحب !

ورأته يختلج وتعروه رعشة ، بيد انه يسارع للكلام ليزيل ما ألم به من اضطراب فيقول :

— اسمع بعضهم يقول ، يا آنسة ، ان الحب شيء جميل ، بل هو اجمل ما يمكن ان يكون في هذه الدنيا ، وهو اعز ما يستطيع الانسان امتلاكه ، وآثر شيء لدى العشاق المخلصين ، وان المحب حين يمتلكه يبلغ ذروة السعادة ، وحين يفقده يؤثر الموت على الحياة . واسمع بعضهم يقول « بل هو خداع كله ، ليس للانسان ان يؤمن به ... »

قالت سميا : — وانت ، يا استاذ ، ما رأيك في الحب ؟

ورأته يعود الى ارتعاشه ، بل بصرت بجسمه يهتز اهتزازاً ... ثم يقول باضطراب :

— الحقيقة يا آنسة انني لم اعرفه ... حتى الان ... ولعلني لو كنت .. ارى وأبصر ، كما ترين وتبصرين ، لكنت عرفته ... وصمت المعلم ، فلم تنبس سميا ... وطال صمتها ، ثم اذا بها تسمعه يقول :

— وانت ، يا آنسة ... ما رأيك في الحب ؟

— انا ؟ ... انا ، مثلك يا استاذ ، لا اعرفه على الرغم من اني ارى وابصر !

ثم ضحكت ضحكة مكبوتة فيها اللوعة والمرارة . فرف على شفتي المعلم ظل ابتسامة خفيفة ، ونهض يود الانصراف ، فتقدمته سميا ، وسمعها تفتح له الباب ...

— الى الغد يا آنسة سميا .

— مع السلامة يا ... شفيق .

وخرج ... وراح يهبط السلم على مهل : انها المرة الاولى التي تدعوه فيها باسمه مجرداً ... ولو كان المعلم شفيق يرى ويبصر ، لعلم شيئاً آخر : لألفى سميا ، اذ هم بالخروج ، تقبل عليه باندفاع ، وتمد له يداً حارة تتشوق الى المصافحة ، وتحن الى ان تضمهـا يد حارة مثلها ...

*

... والآن سأسمعك ، يا آنسة ، قطعة موسيقية فرغت امس من وضعها ، وارجو ان تحوز رضاك .

وانحنى فوق كمانه ، وشرع يعزف القطعة . وارتفقت سميا ظهر الكرسي تصيخ بحيوية واعجاب ، واستمعت الى الموسيقى تنبعث من المعزف يلتقي بالوتر الحاناً سماوية رائعة ؛ وخالت انها تستأنف حلم الليلة الذي انقطع على زقزقة العصفور امام نافذتها لدن شعشع الفجر ... انها الآن لترى نفسها في تلك الحديقة الزاهرة المشرقة ، الملتفة بعبق الازاهر يخضّب الاجواء عبيراً وطيباً ، وأشعة النور تملأ الدنيا اشراقاً وبهجة ، والحان الموسيقى المسكرة اللذة ... انها في هذا الجو الساحر تنتظر الحبيب ان يصل ، فان موعده قد حان ... وها هي ذي تنحني فتقطف وردة بيضاء ، تعبق عبيراً ، وستستقبله بها فتضعها في عروة ستره ... والتفتت فجأة ... انه هو ... ها هوذا مقبل فياض المرح والبشر ، وتهرع هي فترتمي على صدره ، وتهمس في اذنه ان غيبته طالت ، وتعاتبه بأرق الكلام ، فيميل على مسمعها يمنيها بمعسولات الآمال فتبوح له بانها تحبه من اعماق اعماقها ، وأن كل عرق فيهـا ينبض بهواه ، وكل احساس يموج بحبه ، فاذا هو يحوط قامتها بيديه الحديديتين ، وتلتقي شفاههما في قبلة منعشة ، طويلة ، ناعمة ....

وتنتبه سميا من الحلم ، وتتطلع الى معلمها يبلغ في معزوفته ذروة الفن وغاية الروعة ، وتراه مستغرقاً في عزفه ، داني الوجه من كمانه ، حتى ليكاد يلتصق ويمتزج به ، وان تقاسيم وجهه لتنبض بتأثرات روحه ، وان قطرات من العرق لتسيل على جبينه وخديه ...

كانت سميا تحس ان كل شيء فيه يعزف هذه القطعة ، لا يده وحدها ، وان هذه الالحان تتجاوب على صدى مشاعره واحساساته الداخلية ، وانه لا يتوصل الى ارسالها الا بجهد مضن تبدو علائمه في تأثرات وجهه وتشنجات كفيه ...

وايقنت بعد لحظات ان هذه الالحان هي التي حملتها الى ذلك الجو العابق بالاحلام الساحرة ، وانها مطمئنة اليه كل الاطمئنان ،

سعيدة به غاية السعادة • واستمعت اليه ينهي معزوفته بلحن رقيق ناعم يرتفع رويداً رويداً، يدق ويرهف ما سما ٠٠ واحست سميا ان شعوراً جديداً يخالجها ، فاذا هي تنهض وتأخذ بكفه بين يديها الحارتين وتقول بلهجة ثاقبة عذبة :

— مدهشة ... رائعة هذه القطعة يا شفيق ؟

واحتفظت بكفه لحظات، بيناكان يتمتم شكراً لها،وشعرت بحرارة متوقدة تلتهب بها كفه • ولاول مرة آمنت بان معلمها « شاب » تتدفق في عروقه حرارة الفتوة والشباب ...

— وماذا دعوت هذه المقطوعة يا شفيق ؟

— « اشواق » ... يا آنسة سميا !

اشواق !٠٠ اتراه حقاً يعبر عما يخالجه ؟ • انها لا تعلم! ولكن الذي تعلمه انها اذ اوت الى سريرها في المساء، احست بأنها اصبحت تحب شفيق « من اعماق اعماقها ، وان كل عرق فيها ينبض بهواه ، وكل احساس يمور بحبه ٠٠ » وانها لا حاجة لها بعد ، بان تخلد الى الاحلام ، فهي التقت اخيراً بفتى احلامها ! ...

*

... وكانت سميا تعتقد الا طاقة لها بعد بالانتظار ، وان اربعة ايام قضاها شفيق بعيداً عنها لا يزورها ولا يستأنف تعليمها العزف ، كانت كافية لان تنزع كل ما علق بصدرها من اسباب الصبر ، وتقطع في فؤادها خيوط التريث ...

لقد آذنها المعلم انه سينقطع ثلاثة ايام عن اعطاء الدرس لشيء هام يشغله ، وحين حاولت ان تسأله عن هـذا الشيء ، اعتصم بالصمت ، فلم ترد ان تلح • ولكنها لو كانت تعلم ان غيبته ستورث في نفسها هذا الحنين المضطرم، بل هذا الشجو والالم العميق الذي جعلها توقن ان حب شفيق تمكن من نفسها ، وملك عليها فؤادها ، وكاد يعيدها الى جو ذلك السراب والحرمان ... لو كانت تعلم ذلك ، ما تركته يذهب قبل ان تتفهم السبب ، بل ما دعته قط يهجرها ، بل كانت تمسك بيديه الحارتين ، وتحدق في وجهه الفتي الصبوح وتبوح له بمكنون فؤادها وبأنها تريد ان تحتفظ به الى الابد لنفسها وحبها ...

واحست سميا ان هذه الايام الاربعة لم تنقض الا لتزيدها شوقاً اليه وحباً به • وكانت تقضي جل اوقاتها في تعلم معزوفة « اشواق » التي وعدت معلمها ان تتقنها في اثناء غيابه ، لتلقيها على مسمعه حين يعود ...

ولم تكن اقل تيقناً من ان شفيق سيقبل بعد حين ، في ساعته المحددة ، على الرغم من انه تأخر يوماً كاملاً عن موعد زيارته • فلا شك في ان عملاً ما قد تقاعده عن المجيء • ومهما يكن من امر ، فان سميا كانت تعتقد بان عزمها لن يفل : كانت مزمعة على ان تبوح له بعد عزف المقطوعة ، بحبها له ، ايا كان موقفه منها ومن هذا الحب ... ستقول له « انني اعبدك يا شفيق ٠٠ وانا شغوف بك ، راضية بحبك ، سعيدة برفقتك كل السعادة » غير انها لم تكن لتكبت هذا الشعور المخيف الذي كان يساورها : شعور الخشية والاشفاق من ان يصدها شفيق ، فيسخر بحبها ، او يقنعها بانه لا يليق بفتاة مثلها ، طالبة ما تزال ، في السابعة عشرة من عمرها ، ان تحب استاذها معلم الموسيقى ! ... وكانت سميا ازاء هـذا الشعور ، تكابد الماً معنوياً شديداً ، بيد انه لم يكن ليثنيها عن عزمها بان تحسر لشفيق عما يراود فؤادها •

... وسمعت طرقاً خفيفاً على الباب •• انه هو •• وسارعت الى فتحه خافقة الصدر ، مرتعشة الكيان • واستقبلته بترحاب وحفاوة وحدثته ان غيبته طالت ، فابتسم ابتسامة خفيفة ، ثم لم تجد الا ان تحمل الكمان وتبلغه بانها اتقنت عزف مقطوعته ، وجلست على مقعد قريب وابتدأت العزف ... ولم تلبث طويلاً حتى استغرقت فيه ، ودنا وجهها من المعزف ، وتجاوبت تأثرات نفسها على تفاوت الانغام وعاودتها تلك الرؤى المسكرة العائمة بعبق الازاهر والطيوب والانوار والالحان، واستقبلت حبيبها بفرحة وشوق ...

واذ بها فجأة تتوقف ، حين رأت معلمها ينتفض على ارتعاش ، ثم ينهض ويتجه نحو الباب متلمساً الجدار حتى بلغه ٠٠٠ وكان بودها ان تقوم اليه ، فتمسك بذراعه ، وتغلق الباب ، بل تقفله لتحدثه عن لواعجها ٠٠ ولكنه كان قد خرج ...

وكانت مسمرة على مقعدها ... واحست بفيض من الدموع يترقرق في محجريها ... وفجأة خطفت بصرها ورقة مطوية بيضاء ، كانت على المقعد الذي غادره المعلم منذ لحظات ... ففتحتها والرعشة تهز جسدها ، والدمعة تجمد في عينها ، وانشأت تقرأ :

« الى الآنسة العزيزة سميا .

« املي هذه الرسالة على احد تلامذتي قبل ان اقصد دارك لآخر مرة ، وقد كان بودي ان انقطع عن زيارتك حين ابلغتك

اني لن اتمكن من المجيء لمدة ثلاثة ايام . ولكن الذي ثناني عن هذا العزم انك وعدتني ان تتقني عزف مقطوعتي الاخيرة في هذه الايام الثلاثة . فاذا كنت قد قدمت اليوم ، فلكي يتاح لي ان استمع من بين انامك ، التي اعتقد انها مرهفة دقيقة ، الى انبثاق « اشواق » التي هي عصارة روحي وذوب مشاعري . ولست ادري لماذا اشعر ، كلما عاودتني بعض الحان هذه المعزوفة ، او تخيلتك ، ايتها الآنسة العزيزة ، تعزفينها ، بدمعة كبيرة تطفر الى عيني ...

« وقد تتساءلين الآن ، لماذا انقطع عن زيارتك ؟ . ولا بأس ، فقد اعتدت ان تتقفي مني هذه المواقف ، ولم تشائي ذات يوم ان تفهميني ، فقد يكون من سوء حظي انني عرفتك ، لانني احببتك ، وانت الفتاة الاولى التي احب ... وقد كنت ارجو يوماً ان تنكشف عن عيني غشاوة العمى ، وينفذ اليهما بعض النور ، لتتبيني ، ايتها الآنسة العزيزة ، ما تمور به عيناي من حب لك وصبابة بك ... كنت ارجو ان يقع ذلك مرة واحدة في عمري ، ثم اعود الى عماي ... ولكن ...

« وانك ، ايتها الانسة سميا ، – وما آثر هذا الاسم لدي – لم تكوني لتلاحظي يوماً ، كلما قصدت بيتك او خرجت منه ، او حدثتك او حدثتني ، ان رعشة تعروني ! وان تكوني لاحظت ذلك ، فانه لن يعنيك من الامر شيء . ولن تحاولي ان تتفهمي السبب ، وان هذه الرعشة ، انما هي اختلاجة الهوى في اضلعي ...

« وانا على يقين يا آنسة انني لم اكن ازاءك الا موضع رثاء ، ومحل عطف ... وانا اعلم حين كنت احدثك انك ترثين لي ، فاختصر الحديث ، وحين كنت ازورك ترثين لي فاقصر الزيارة ، وحين كنت اعزف ، ترثين لي ولقطرات العرق تسيل على جبيني ، فلا ادري ماذا افعل .. وانت كذلك الى الابد : ان هذا الاعمى مسكين حقاً . انه ليستحق الرثاء ..

« وقد كنت اخدع عن نفسي احياناً ، يا آنسة ، فأظن انني اصبحت بحبك مبصراً ، وان هواك ازال عن عيني الغشاوة ... ولكنني حين كنت ارفع يدي الى عيني اتلمسهما بها ، يدمي الواقع فؤادي ... انك ما زلت اعمى وستظل ! وهذه الاشتات من عواطف الحب والالم واللوعة التي كانت تضنيني وترمض روحي ، تجمعت عصارتها بين يدي لتخلق « اشواق » ...

« ولكن الذي لم اكن في شك منه قط ، انك لن تفكري يوماً بان تبادلي هذا الاعمى المسكين عاطفة ملكت عليه نفسه ... ذلك كان اعتقادي وما يزال : فانت فتاة في مطلع العمر وريعان الصبا ، ومن اسرة غنية ، وتتلقن الثقافة وتدرس ، وتنظر الى المستقبل نظرة ملؤها الامل والرجاء ، وتتطلع الى اليوم الذي تجد فيه شاباً جميلاً ، قوياً ، ثرياً ، سليم الاعضاء ، لا عاهة فيه .. فمن هو ذلك الاعمى الذي اقبل يعكر صفو احلامها ويعبث بريق آمالها ؟ ! ...

« ولهذا كله ، كنت لا اجد الا انطوي على نفسي ، واكبت دائماً حبي ، ولو كنت اعاني من ذلك ما لا تعلمين .. ولهذا كله ايضاً ، صح عزمي ان انقطع عن كل شيء ... فانني بعد اليوم ، لن اعلّم العزف احداً ... وسأعيش هناك ... بعيداً ... في كوخ صغير ، لا يليق به الا اعمى مسكين مثلي ... سانقطع عن كل شيء ، وكم يحرق نفسي ان انقطع عنك ، فاحرم انسك ولطفك ، ويدك الصغيرة الجميلة تضعينها بين يدي الغليظتين ، وصوتك الناعم الرقيق يتنازل فيلفظ اسمي ... ولكنني ساحتفظ ابد الدهر بشيئين عزيزين ، علهما يحملان بعض العزاء والتفريج : اولهما هذا الحب الطاهر الذي تضمه جوانحي الك ، والثاني هذا الكمان .. ولن احتفظ بهذا الكمان الا لامر واحد : هو عزف مقطوعة « اشواق » التي ستظل اضلعي تخفق بها لك يا ... سميا .. او لا تسمحين ان انطق باسمك مجرداً ، ولو مرة واحدة في العمر ؟؟ .. »

« شفيق »

سهيل ادريس

طي

لايليا ابو ماضي

بروكلن – نيويورك

اروي لكم عن شاعر ساحر ... حكاية يحمد راويها
قال – دعا اصحابه سيد ... في ليلة رقت حواشيها
فانتظمت في قصره عصبة ... كريمة لا واغل فيها
من نبلاء الشعب سادتها ... وخيرة الغيد غوانيها
حتى اذا ما جلسوا كلهم ... وطاف بالاكواب ساقيها
قام امير القصر في كفه ... كأس اعارته معانيها
وقال يا صحب على ذكركم ... املأها حباً واحسوها
وذكر من قلبي عبد لها ... ومهجتي احدى جواريها
حبيبتي « ليلاء » سميتها ... ولم اكن قبلا اسميها
فشربوا كلهم سرها ... وهتفوا كلهم تيها
فأجزل الشكر لاصحابه ... الشكر للنعمة يبقيها
وصاح بالساقي علينا بها ... فطاف بالاكواب ساقيها
وقال للاضياف سمعاً فلي ... كلمة العدل يمليها
ما انا وحدي الصب فيكم ولا ... كل العذارى من اناجيها
فكل نفس مثل نفسي لها ... في هذه الدنيا امانيها
وكل قلب مثل قلبي له ... حسناء ترجوه ويرجوها
يا صحب من كانت به صبوة ... يعلنها الان ويبديها
فنهضوا ثانية كلهم ... ورفعوا الكاسات تنويها
كلهم يشرب سر التي ... يهوى من الغيد ويطريها
وكان في الشرب فتى باسل ... طلعته تسحر رائيها
شارك في اول اقداحهم ... ولم يشاركهم بثانيها
وانت؟ قال الصحب واستضحكوا ... هل لك حسناء تحييها
قال اجل اشرب سر التي ... بالروح تفديني وافديها
صورتها في القلب مطبوعة ... لا شيء حتى الموت يمحوها
لا تترضاني رياء ولا ... تلثمني كذباً وتمويها
يضيع مالي ويزول الصبى ... وحبها باق وحبيها
قد وهبتني روحها كلها ... ولم تخف اني اضحيها
سر التي لا غادة بينكم ... مهما سمت في الحب تحكيها !
فاجفلوا منه كمن حية ... نحاشة قد عز راقيها
وقالت الغادات اف له ... قد شوه المجلس تشويها
لو ظل فيما بيننا صامتاً ... لم تسمع الاذان مكروها
وقلقل الفتيان اسيافهم ... فاوشكت تبدو حواشيها
وتعتع الشادي بالحانه ... وماجت الدار بمن فيها
وقال قوم : خبلته الطلا ! ... وقال قوم : صار معتوها !
فصاح رب الدار يا سيدي ... وصفتها لم لا تسميها

اتخجل باسم من تهوى ؟
احسناء بغير اسم ؟
فاطرق غير مكترث
وتمتم خاشعاً .. امي !

من فنون الآثار عند الاقدمين

بقلم نور الدين بيهم
امين المخطوطات بدار الكتب اللبنانية

•

آراء في الروايات عن البلدان والآثار

قال ابو الحسن المسعودي :(١) ذكر كثير من الناس ممن له معرفة باخبار البلدان « ان هذه اخبار موضوعة (عن بعض مبالغات في وصف البلدان والاثار) من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب للملوك برواياتها وصال على اهل عصره بحفظها والمذاكرة لها » .

وجاء ايضاً في مروج الذهب للمسعودي عندمـا تكلم عن بعض مبالغات : « وهو خبر يدخله الفساد من جهات النقل وغيره وهو من صنعة القصاص » (٢)

أما الحجارة الثلاثة العظيمة لقلعة بعلبك التي تعد من عجائب الدنيا فقد رفعها الروم بايدي عبيدهم على ما جرت به عادتهم من استخدام الاسرى في البنيان وبالآلات الهندسية والقوة الآدمية(٣) استدلالاً ممـا نجد في اطرافها من الانقرة التي تقضي بانها كانت ترفع جراً بالامراس بان تمهد لهـا الارض سطحاً من التراب يرتفع شيئاً فشيئاً مع امتداده الى ان ينتهي الى حيث هي مرفوعة ثم تجر بالسلاسل على عجلات لها بكرات من الفولاذ عريضة الاطراف حتى لا تغوص في التراب صغيرة الجرم حتى تحتمل الثقل وتكون اشد من البكرات الكبيرة التي لا بد ان تلتوي تحت هـذه الحجارة الهائلة » .

التحقيقات العلمية في صحة الآثار وصحة الروايات عنها

بالغ الرواة كثيراً عند سردهم حوادث الخرائب الـتي كانوا يشاهدونها ووصفها بعضهم باوصاف لا يقبلها فكر ولا يسلم فيها عقل . وجاء في نفح الطيب(٤) : وامـا جال اهل الاندلس في

(١) مروج الذهب للمسعودي ج ١ ص٢٩٧

(٢) مروج الذهب للمسعودي ج ١ ص ٢٩٧ وصفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار ج ٤ ص ٨٢ المطبعة الاعلامية ١٣٠٣ مصر

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٣٥٨

(٤) نفح الطيب للمقري ج ١ ص١٠٢ المطبعة الازهرية المصرية ١٣٠٢

فنون العلوم فتحقيق الانصاف في شأنهم في هذا الباب انهم احرص الناس على تمييز الصحيح من غير الصحيح وهكذا صار شأنهم في كل امورهم الاجتماعية والبيتية وفيما يقتنونه من الاثاث والتحف والرياش .

ترميم الآثار

قال الواقدي صاحب كتاب فتوح الشام حدثني موسى بن ابي بكر عن صالح بن كيسان قـال : « في سنة ٨٨ بعث الوليد الى صاحب الروم يعلمه انه امر بهدم بعض الاماكن . وان يعينه فيهـا فبعث اليه بمائة الف مثقال ذهب وبعث اليه بمائة عامل . وبعث اليه من الفسيفساء بأربعين حملاً وامر ان يتتبع الفسيفساء في المدائن التي خربت فبعث بها الى الوليد فبعث بذلك الوليد الى عمر بن عبد العزيز(٥) الخ . .

تعمير آثار جديدة من بقايا آثار قديمة

ومن المباني القديمة القليس كانت باليمن بناها ابرهة بن الصباح ملك اليمن بصنعاء ونقل اليها الرخام المجزع والملون والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس . وكان اراد ان يرفع بناءها حتى يشرف منها على بحر عدن ولم يتم له ذلك فاقفر ما حول القليس وبقيت الى زمن السفاح فذُكر له امرها فبعث اليها من خربها واخذ ما كان فيها . حكى ذلك السهيلي في « الروض الانف » وكان للقليس باب من نحاس طوله عشرة اذرع وعرضه اربعة اذرع يدخل منه الى بيت طوله ثمانون ذراعاً وعرضه اربعون ذراعاً مسقف بالسياج المنقوش مسمر بمسامير الذهب والفضة ثم يدخل من البيت الى ايوان معقود طوله اربعون ذراعاً عن يمينه ويساره عقود مزخرفة ثم يدخل من الايوان الى قبة ثلاثون ذراعاً في ثلاثين ذراعاً جدُرها مموهة بالذهب والفضة وفي صدر القبة منبر من الابنوس المرصع بالعـاج المصفح بالذهب والفضة .

نقل الآثار

وكان في مدينة « منف » من اعمال مصر بيت عظيم من حجر اخضر قطعة واحدة : جوانبه الاربعة وارضه وسقفه ولم يزل على ذلك الى الدولة الناصرية حسن بن الناصر محمد بن قلاوون، واراد

(٥) تاريخ الطبري مجلد ٣ ج ٨ ص ٦٥ المطبعة الحسينية المصرية

(٦) نهاية الارب في فنون الادب ج١ ص٣٨٢–٣٨٣ مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٢

الاميرشيخو اتابك العساكر نقله الى القاهرة صحيحاً فعولج فانكسر فأمر ان تنحت منه اعتاب فنحتت وجعل منهـا اعتاب خانقاه وجامعه(٧) .

التحف

بلغ الاقدمون من الاجادة في صناعة التحف وزخرفة الاثار ما يدهش العقول . كانوا يرصعون الزجاج بالجوهر ويكتبون عليه بالذهب المجسم ويصنعون للملوك اقداحاً تقيد الابصار حسناً واشراقاً ويتخذون على الجامات صوراً يحكمون صناعتها بالرسم الى مماثلة الحقائق من ذلك جام قد صورت عليه طيور تطير ومن فوقها عقاب ينقض عليها وهي تهوي في الفضاء للتخلص منه ولكن بهيئة تملك النفس وتستوقف الطرف(٨) .

اتخاذ التحف للزينة والمباهاة

لما قدم المهدي مكة نزع كسوة الكعبة وطلى جدرانها بالمسك والعنبر ثم كساها كسوة جديدة من الحرير لانه كان يخاف عليها ان تتهدم لكثرة ما عليها من الديباج الذي كساها به هشام بن عبد الملك(٩) ثم امر بأنشاء رواقات المسجد الحرام وحمل لها الاعمدة الرخامية من البحر(١٠) واتم بناءها على عناية يلتمس بها استمالة اهل الحرمين واتخذ لهم مآدب افرغ الوسع في زخرفتها وتنميقها للدلالة على عظم ملكه حتى انه سقاهم المـاء المبرد بالثلج المحمول من الشام(١١) وكان الذي حمله الى مكة محمد بن سليمان الهاشمي وهذا من الامور التي توسع اهل البادية تعجباً من اقتدار الملوك على اقتناء الغريب .

تزيين البيوت بالتحف

.. واما دور المتمولين من اهل اليسار في العراق فانها ثلاثة اقسام يجمعها سور واحد وهي مقاصير الحرم وحجرات الخدم ومجالس السلام وفي ساحاتها جنات تزرع فيها البقول والرياحين والرمـان وسائر الفاكهة حتى تكون روحاً وريحاناً(١٢) وعلى جدرانها وسقوفها نقوش في رسم ملون او فسيفساء من ذهب وعـلى دائر الابواب والقمريات وبرادات الدور(١٣) كتابة يتخذونها من الزجاج الملون ويحيطونها بخشب اسود من الابنوس وغيره ثم يعلقون عليها رسوماً

(٧) صبح الاعشى للقلقشندي ج٣ ص٣٢٠ المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٣٣٢

(٨) الاغاني ج ٤ ص ١٨٩ (٩) حضارة الاسلام في دار السلام ص٩٩

(١٠) الخميس ج ٢ ص ٣٠ . (١١) ابن الاثير ج ٦ ص ١٨ .

(١٢) حضارة الاسلام ص ٢٩ . (١٣) الاغاني ج ١٧ ص ١٢٩ .

من النحاس تمثل غصوناً وثماراً وازهاراً واشكالاً فيها كل غريبة من الابداع(١٤) وعندهم لاقامة الاحواض عناية تامة فيرفعون عليها عمداً مزخرفة من الرخام ويعقدون من فوقها قباباً منقوشة بايات من الذهب(١٥) وكانوا يفاخرون بما عندهم من التحف القديمة الدقيقة الصنع الجميلة المنظر ويشترونها باثمان عالية ويعتنون بحفظها والمحافظة عليها .

التحف في القصور

في سنة ٥٤١ هـ فتح الفاتحون « المهدية » القريبة من صقلية(١٦) ودخل الفاتح قصر الامير حسن بن علي فوجده على حاله لم يعدم منه الا ما خف حمله ووجد فيه جماعة من حظايا الحسن بن علي ووجد الخزائن مملوءة من الذخائر النفيسة من كل شيء غريب يقل وجود مثله(١٧) .

واني اتجنب الاطالة في هذا الباب لكثرة وروده في كتب الادب والتاريخ(١٨) .

التهادي بالتحف

بلغ الملك العادل نور الدين اتفاق الامراء عليه في مصر (٥٥٦هـ) فقال له توران شاه بن ايوب الذي اقب بعد ذلك بالملك المعظم (وكان اسمن من صلاح الدين) : يا مولانا اريد ان اسير الى اخي (يعني الى صلاح الدين) فقال له نور الدين : ان كنت تسير الى مصر وترى يوسف اخاك بعين انه كان يقف في خدمتك وانت قاعد فلا تسر فانك تفسد العباد والبلاد فتحوجني الى عقوبتك بما تستحقه وان كنت تسير اليه وترى انه قائم مقامي وتخدمه كما تخدمني والا فلا تذهب اليه(١٩) فقال يا مولانا سوف يبلغك مـا افعل من الخدمة والطاعة وسار الى مصر فتلقاه صلاح الدين من بلبيس وخدمه وقدم له الخيل والتحف والمال واقام عنده على احسن حال(٢٠) .

نور الدين بيهم

(١٤) القزويني ص ١٢٧ . (١٥) الاتليدي ص ٢٢٦ .

(١٦) معجم البلدان المجلد الثامن مطبعة السعادة ص٢٠٥ الطبعة الاولى ١٩٠٦

(١٧) المختصر في اخبار البشر لابي الفدا ج٣ ص٢١ الطبعة الاولى المطبعة الحسينية .

(١٨) راجع كتب التاريخ والادب والتراجم على اطلاقها .

(١٩) في عبارة الروضتين : « فسر اليه واشدد ازره وساعده على ما هو بصدده » .

(٢٠) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٥ ص ٣٥٤ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٥ .

الشباب

صور
وحي
الشهادات

•

مهداة الى الاستاذ الياس خليل زخريا

•

الشباب : ماء الواحة ، يبل صدى التائه ، بعد آمال السراب الخادع ، ونور الخباء ، يلوح للضال ، في ظلمات الصحارى .

الشباب : خيط الامل الابيض ، في ستائر اليأس السوداء ، وحنان دافق الى الغد الباسم ، يعتلج في صدر اليوم الغاضب .

الشباب : دعوة الى القوة ، وتمجيد للحياة ، ونزوع الى الخلود ، وسمو على الحاضر الفاني ، والمكان المحدود .

الشباب : صيحة الامة ، تدوي في وجه الزمان ، يشق الارض ويقتحم المكان ، ويكتب التاريخ .

ليس الشباب مرحاً وتصابياً ، ولهواً وعبثاً .

انه القافلة العربية الصاعدة ، فوق كثبان الرمال ، في صحراء العروبة .

يا شباب العرب ، يا طلائع الجيل العربي الجديد ! !

يا حاضر الامة المشرق ، ومستقبلها الزاهي العتيد ! !

ثبت قدمك في الارض ، ارض العرب ، والق بالاخرى الى الامام في طريق المجد .

مد يسراك الى ماضيك الذي كتبه اجدادك ، ويمناك الى حاضرك الذي تكتبه بدمك وآلامك ، واشمخ بانفك ، وتطلع الى الامام الى مستقبلك واصعد واثقاً بنفسك معارج حياتك .

انت النبتة الخضراء ، تحمل في نفسك ثمرتك المقبلة ، وتنسج بيدك حبال مصيرك .

تعيش بين اشواك السوء ، والزهرات المسمومة ولكنك لن تموت لانك مؤمن ! !

نعم انت مؤمن بنفسك ، وعروبتك وامتك ورسالتك .

انت طلائع الجيل الجديد ، او الجسر الجديد ، معبر ستمر عليه الامة الخالدة والاجيال العربية القادمة ، وانتقال حاسم من الواقع الفاسد الى الغد المنتج .

الا اننا جميعاً ، ذلك الشباب الصاعد ، نتسلق الجبل الصخري ، لنصل الى القمة الشامخة ، على سلم من القومية الصحيحة .

ألا اننا ذلك الجيل الذي تنجبه الامة كلما تمخضت لتنتج الحضارات وتحقق الرسالات التي هي جزء منك ، وبعض من خلقك وابداعك .

يا روح القادسية ! !

اشرقي على العرب ، في هلالهم المخصب ، ونيلهم العميق ، وجزيرتهم المقدسة وجبلهم اللبناني .

هزيهم الى النصر ، وادفعيهم الى المجد .

يا روح اليرموك ! !

جيشي واصخبي ثم اهدأي ، فما قريب ، ستلقين روحاً جديدة هي روح نصر جديد وفتح قريب .

يا صحراء العرب ! !

يا موطىء خفاف الجمال لا الافيال ! !

لن تدخلك الاعاجم ، ولن تدنسك الاحابيش بعد اليوم .

حمص — ابن الصيدلاني

جلال فاروق الشريف

التاريخ وفلسفته

– تتمة المنشور في الصفحة ٢٠ –

•

فلم يجعل رائده خدمة الحقيقة، وجريئة على القومية لانه حذر مواقع الدآء، بل صور ان الداء ما هو الا صحة وقوة . اما التخريب العضوي فرغم زوال الالم يستمر الى ان يقوض الكيان . فلكي تكون دراسة التاريخ نافعة ومفيدة يلزم معرفة نواحي القوة لاعادتها في الجيل الحاضر قوية بارزة، ونواحي الضعف لتجنبها سوآء كان ذلك الشعب واقع في مثلها في الجيل الحاضر ام لا . من معرفة الماضي والحاضر نستطيع ان نوجه انفسنا الى مستقبل زاهر جميل، اذا كان لدينا يقظة فكرية وحب الاستفادة من الماضي، اما التادي في دراسة الماضي على علاته دون تطبيق قواعد المنطق والفكر الحر، نبني عند ذلك الايمان على الرمل فاصغر عاصفة من العاصفات تجعله قاعاً صفصفاً .

من دراسة التاريخ ايضاً نستفيد معرفة الاقوام الباقية مقارنين بذلك بأمتنا فنقدر ان نستنتج مزايانا ومزايا غيرنا، فنقدر ان نتعامل مع غيرنا لنفيد ونستفيد، كذلك معرفة سير البشرية وتطورها وغير ذلك من الامور الهامة .

دور العرب في علم التاريخ : للعرب باع طويل في تدوين التاريخ فعندنا كتب عديدة وقديمة تبحث عن السيرة النبوية، وتواريخ الامم والملوك، ولقد شرع بعضهم في نقد الاخبار بالمقارنة والمحاكمة المنطقية . وكذلك في نقد اخبار الادباء لمعرفة المنتحل من الصحيح . وقد حاول علماء الحديث ان يضعوا منهجاً يفرقون به بين الحديث الضعيف والقوي ولقد سموا طريقة معرفة ذلك بمصطلح الحديث، ولقد سمى الدكتور اسد رستم طريقة معرفة الاخبار بمصطلح التاريخ ويقول ان هذا التعبير قد اقتبسه من علماء الحديث . ولقد اضطر للرجوع الى مصطلح الحديث لسببين اولها الاستعانة باصطلاحات المحدثين والثاني لربط ما وضع المؤلف لاول مرة في اللغة العربية بما سبق تأليفه في عصور الائمة المحدثين . ويذكر عن القاضي عياض انه سما في كتابته الى اعلى درجات العلم والتدقيق . فيزعم ان ما جاء في رسالته من مظاهر الدقة والتفكير والاستنتاج تحت الرواية والمجيء باللفظ يضاهي ادق ما ورد في الموضوع نفسه في اهم كتب الفرنجة ... والواقع كما يثبت هذا المحقق ان الميتودولوجية الغربية اي علم استنباط التاريخ وتحقيق قواعده تمت بصلة قوية الى مصطلح الحديث . فالتاريخ كما يقول دراية ورواية . وهو يرى ان القواعد التي وصفها الائمة منذ قرون عديدة للتوصل الى الحقيقة في الحديث تتفق في جوهرها واتجاهها والانظمة التي كشفها علماء اوروبا فيما بعد في بناء علم الميتودولوجية . وعلى رأيه لو ان مؤرخي اوروبا في العصور الوسطى والعصور الحديثة اطلعوا على مصنفات الائمة المحدثين لما تأخروا في تأسيس علم المتودولوجية حتى اواخر القرن الثامن عشر . وهو يصارح زملاءه في الغرب فيؤكد لهم بان ما يفاخرون به من هذا القبيل نشأ وترعرع في بلادنا . ونحن احق الناس بتعليمه والعمل بأسسه وقواعده .

من الصعب علينا استقصاء جميع من دون نقد التاريخ من العرب، ويدلنا كتاب موجود بصفة مخطوطة للبيروني عن الاثار الباقية عن الامم الخالية الذي طبع حديثاً في دلهي (الهند) على معرفة دقيقة في نقد التاريخ . وقد كان بين المؤرخين من يذكر الروايات من غير تشيع، وكان آخرون، مع ما اظهروا من مراعاة لمطالب الحاضر، لا يترددون في الحكم على الماضي احكاماً يتفاوت حظها من الصحة . ومنذ الفتوحات العربية الواسعة صار موضوع التاريخ شاملاً للحياة العقلية والعقائد والاخلاق والادب والعلم . وكان المام العرب باحوال بلاد غيرهم وامم غير الامة العربية مما دعاهم الى مقارنة بعضها ببعض من شتى الوجوه، فدخل التاريخ عنصر أممي انساني .

ولقد ثبت لدى المشتغلين في تاريخ فلسفة التاريخ ان اكبر شخصية عربية نقدت التاريخ نقداً علمياً صحيحاً ووضعت فلسفة للتاريخ هي ابن خلدون كما اثبت ذلك كل من درس مقدمته دراسة عميقة، ورغم انه لم يتضح على نور التحقيق الصحيح مصادر معرفته، يظهر لنا كمبتدع للافكار التي نوه عنها . ومقدمته تحتوي على قسمين هامين اولاً نقد الاخبار وثانياً فلسفة التاريخ، فهو يضع قواعد هامة في نقد الاخبار التاريخية كما بين ساطع الحصري في دراساته لا نظن ان احداً تقدمه بذلك، فهو يرى ان التاريخ خبر عن الاجتماع الانساني بمعنى واسع جداً فهو يشمل الازمنة الغابرة واحوالها الاجتماعية والاقتصادية والصناعات والعلوم وله ظاهر وباطن فظاهره اخبار عن الامم السالفة وباطنه : نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها، وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها وهو يرى اسباباً للوقوع في الخطأ :

(١) التشيعات في الارآء والمذاهب .

الشعب الزنـــــدي

بقلم حسن دوغان
ليسانسية في التاريخ من جامعة فؤاد الاول

★

هناك شعوب كثيرة تعيش في ايامنا الحاضرة ولكن قلما نعرفها لانها بعيدة عنا والاتصال بها صعب بعيد المنال محفوف بالمخـاطر والاهوال ولذلك فانني ساتحدث اليكم عن شعب يعيش في ايامنـا الحاضرة غير انه لا يزال في حالة بدائية وعلى درجة من التأخر والانحطاط ولا ابالغ اذا قلت انه يمثل الانسان الاول في حياته الاولى في كثير من صفاته وافعاله ودرجـة رقيه وحضارته بينما يعيش في القرن العشرين عصر المدنية والنور والمكتشفات العظيمة ، ذلك الشعب هو الشعب الزندي الذي يعيش في القـارة الافريقية في اعالي بحر الغزال وفرع الكنغو الاوبنجي . وقد اطلق عليهم سكان السودان المصري الذين يتكلمون اللغة العربية اسم عبيد غنم ، وهذا الاسم مشتق من كلمة نيام نيام ومعناه آكلو العظام وهو يشير الى ما اتصف به هؤلاء الناس من اكل اللحوم البشرية . الا ان هذه القبائل تطلق على نفسها اسم زندة .

اما مميزات هذا الشعب وصفاته فكثيرة جـداً وهي تختلف اختلافاً بيناً عن صفات ومميزات الشعوب الراقية فهو عريض الرأس بنسبة كبيرة حتى انه يعتبر من احط الانواع البشرية . اما العين فلوزية الشكل ومنحدرة قليلاً كبيرة الحجم يظللها جفن سميك والمسافة بينها وبين اختها بعيدة بحيث تتفق وتتناسب مع عرض الرأس كما يمتاز بانف عريض مربع يكاد يساوي عرض الفم والشفاه غليظة والذقن مستديرة ،

---

(٢) الثقة بالناقلين وعدم تمحيص الاخبار .

(٣) الذهول عن المقاصد .

(٤) توهم الصدق من جراء الثقة بالناقلين .

(٥) الجهل بتطبيق الاحوال على الوقائع .

(٦) تملق الامرآء . (٧) الجهل بطبائع العمران .

لا يكتفي ابن خلدون بسرد هذه القواعد العامة ، بل يطبقها على بعض الاخبار ، كما بين لنا صاحب دراساته ، ويستعرض سلسلة من الروايات والاخبار المتنوعة عن الازمنة الماضية (دراسات عن مقدمة ابن خلدون ج ١ ص ٢٢٢ وما بعدها) وله فلسفة تاريخية قائمة بذاتها فيها بذور لكثير من مذاهب قد اتت من بعده بقرون فهو بذلك سباق في الفلسفة التاريخية وكما بين لنا ساطع الحصري يمت بصلة الى المذاهب الآتية :

١ : مذهب فيكو في العناية الالهية ، حتى ان ابن خلدون يرفض فكرة العمالقة . التي قبلها فيكو . ويغلو فيكو اكثر من ابن خلدون في مزج فكرة الدين بالتاريخ . ويتفوق ابن خلدون على فيكو بشمول النظر ، ونزعته والاستقرار ويقرب من المباحث العلمية قرابة شديدة .

٢ - مذهب مونتسكيو الاقتصادي . لدى مقارنة مقدمة ابن خلدون نجد اراء اقتصادية شبيهة بمونتسكيو حتى ان ساطع الحصري يعتقد ان ابن خلدون مما على عبقرية مونتسكيو ، عـلى الرغم من قدم العصر الذي عاش فيه - وعلى الرغم من انحطـاط البيئة - التي نشأ فيها .

٣ - التاريخ وطبيعة العمران : يعتقد ابن خلدون ان المؤرخ المنصف الذي يود ان يدون تاريخاً صحيحاً لا بد له من ان يعرف طبيعة العمران ، فالحوادث التاريخية على زعمه مرتبطة بالحوادث الاجتماعية ارتباطاً وثيقاً ، فالعوامل الاجتماعية على رأيه هي مـن دوافع الحوادث التاريخية ، وقد تكلمنا عن آرائه في علم الاجتماع فلا حاجة للرجوع اليها ثانية (دراسات عن مقدمة ابن خلدون ج ١ ، ص ١٩٣ وما بعدها) .

حلب — **محمد يحيى الهاشمي**

والخدود منتفخة بحيث يظهر شكل الوجه اشبه بدائرة . واما جسمه فهو يميل عادة الى السمنة ولكنه يخلو من القوة ، والنصف العلوي، طويل بالنسبة للارجل وهذا مما يجعلهم يتحركون حركات غريبة ، بيد ان هذا لا يعوقهم ولا يقلل من خفتهم في اغاراتهم الحربية .

واما لونه : فمن الصعب تحديده ولكنه يتغلب عليه الاحمرار النحاسي القاتم .

ومن العادات الشائعة عند كل زندي ان يخدش جبهته ثلاثة او اربعة خدوش، وقد تكون هذه الخدوش على الوجه وتملأ بالنقط الملونة كما انهم في بعض الحالات الشاذة يلونون الجزء الاسفل والاعلى من الذراع بخطوط مستقيمة او معوجة او منقطة. وتوجد عندهم كذلك تلك العادة التي توجد عند معظم قبائل وسط افريقية وهي عادة بري الاسنان وجعلها مدببة حتى تساعد على اكل اللحوم والدفاع والقتال .

واما ملبسهم فهو عبارة عن قطعة من الجلد تربط على الوسط وتغطي العورة ، واحياناً يربط بها ذنب طويل اسود يتدلى الى الخلف وهو اشبه بذنب القرود . ولهذا يظن بعض العامة عندنا ان الزنوج لهم اذناب .

اما الرؤساء والملوك فانهم يلبسون علاوة على ذلك قطعة من الجلد تغطي الرأس لتكون مميزاً وفارقاً بينهم وبين الآخرين . وتظهر قبائل الزندة اهتماما كبيراً في ترتيب شعرها المتجعد تجعيداً شديداً. وجربوا كثيراً من الطرق والوسائل لتضفيره وجمعه في خصل تتدلى حول الرأس وبعضها يصل الى الكتف او اطول .

واما اسلحتهم فأهمها الرماح ثم المقذوفات اليدوية باشكال مختلفة ، وهذه المقذوفات لها اطراف حادة واجنحة كثيرة وكلها مصنوعة من الحديد ، كما انهم يستعملون الدروع في الدفاع عن انفسهم واتقاء خطر المقذوفات والطعان .

اما اعمالهم فهي موزعة بين الرجال والنساء. فبينما نرى الرجال يقومون بعملية الصيد وجمع الفاكهة من الغابات نرى النساء يقمن بالزراعة وما يتعلق بها وبالرغم من الاشتغال بالزراعة فانه لا وجود للماشية عندهم وذلك لوجود مرض النوم الذي يؤذيها ويقضي عليها . والحيوان المستأنس هو الكلب والدجاج ويقال ان هذه القبائل وجدت لذة في اكل لحوم الكلاب ولذلك فهو يعتبر عنصراً من عناصر غذائهم .

كما ان عندهم شرهاً شديداً نحو الاكل فالطعام لا يفارقهم اينما حلوا فاذا خرج احدهم للصيد في اي مكان سواء كان قريباً او بعيداً فلا بد له من سلة يحملها معه ويضع فيها كثيراً من المأكولات . وبالرغم من حبهم للطعام فانهم لا يزالون متأخرين في طريقة صنعه واختياره وانهم لشدة حبهم للاكل يذكرونه دائما حتى في حروبهم كوسيلة للتشجيع فالكلمة التي ينطق بها كل زندي في الحرب هي اللحم اللحم . ويقول الرحالة Schuxinfurth ان عادة اكل اللحوم البشرية اصبحت من العادات المؤكد وجودها عندهم وهم يرتكبون هذا العمل علناً دون تخف او خوف فيأخذ الرجل جثة الاخر وبعد ان يحصل على ما يكفيه منها يعلق ما بقي من الشحم واللحم ويبيعه .

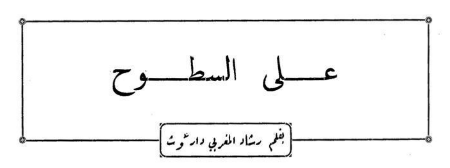
كما انهم يأكلون الدهن البشري لانه عامل مسكر ، ولكن بالرغم من ان هذا الاعتقاد قد تناقله كثير من الناس الا انه لا يعرف الاساس الذي بني عليه . ويقـــال ايضاً انه للاعلان عن بضائعهم يعلقون رؤوس ضحاياهم على قطعة من الخشب امام منازلهم والدليل على وجود هذه العادة عندهم هو ما يقوله الرحالة Schuxinfurth من انه لما طلب اليهم ان يحضروا له بعض الرؤوس البشرية لاجراء تجـارب عليها لم يظهروا اي غرابة ودهشة بل احضروا له كل ما طلب .

ويحكى انهم في ايام الحرب يأكلون الناس من جميع الاعمار وبخاصة الكبار في السن لانهم يكونون اقل قدرة على المقاومة ، ثم ان كل شخص يموت ولا يكون له اقرباء يحافظون على جثته فانه يؤكل في نفس المكان والبلد الذي عاش فيه . ولا يقتصر الامر على ذلك بل انهم كثيراً ما يخرجون الجثث من القبور التي دفنت فيها ولكن مع ذلك فالظاهر ان الزندي اقلع الى حد كبير عن هذه العادة السيئة وذلك لاتصاله بالاوروبيين الذين اخذوا يقللون من وحشيته وان كانت لها بقية الى الان فانها تمارس في الخفاء كما في بعض جهات اوغنده ولا شك انها اخذت في الزوال .

ومن الغريب عندهم ، انه بالرغم من كل هذه العادات الشاذة فانهم لا يأكلون الا منفردين بمعنى ان لكل فرد آنية خاصة به ولوفرض ان استعملها آخر فانه يعمل على غسلها قبل ان يستعملها . اما مساكنهم فهي عبارة عن اكواخ حقيرة مبعثرة وهي لا تختلف كثيراً عـما نشاهده في معظم انحاء افريقية الوسطى الا انها تمتاز عنها بعلو سقوفها المخروطية وبكونها تنتهي بقمة مدببة .

هذا ويجدر بنا ان نذكر ان الزندي على جانب كبير من الذكاء والنشاط وله مهارة في بعض انواع الفنون مثل تماثيل الخشب ولهم شغف عظيم بالفن وميل شديد نحو الموسيقى واشهر آلاتهم آلة بين القيثار والعود .

حسن دوغان



على السطوح

بقلم رشاد المغربي دارغوث

قصة

جلس في ردهة داره ، بعد ظهر السبت ، لا يدري ما يصنع . فجميع اصدقائه ومعارفه وحساده ايضاً . . في الجبل يقضون ختام الاسبوع في مصايف لبنان ، والمدينة مقفرة حتى من الشحاذين ! .

ويخيل لرضى بك ان بيروت ساكنة سكون الموت ، تحت وطأة هذه الشمس تنصب اشعة محرقة ، وتنتشر حراً مذيباً ، وتلف بيته بثوب من لهب . فيغرق في صمت تنعقد معه حنجرته عن الدمدمة ، واصابعه عن الحركة . ثم يتمدد على كرسي طويل من القش ، ويستسلم لذهول عميق .

ما تراه صانعاً ببقية يومه هذا ، وغده ، واليومين التاليين ، وهما يوما عيد اذاعت الحكومة بلاغاً يقضي بتعطيل الدوائر فيهما؟

ويقول الرجل لنفسه : ستنقطع الصحف بحكم الواقع عن الصدور في الايام الاربعة المقبلة . كما ستنقطع اجتماعات النواب ، ومناوراتهم في اثناء ذلك ، وان كان المجلس النيابي ما يرح في ابان عقد استثنائي ، لا يتغيب عن الجلسات من اعضائه الا نفر ضئيل ، له عذره الذي لا يحرمه من الحق بالتعويضات المقررة ! ويسمع رضى بك صوتاً آخر يقول له :

— وستقفر المقاهي القائمة حول السراية ، تحيط بساحة الشهداء احاطة اضلاع المستطيل ، تحده من مادة ، تمتلىء بروادها لتفرغ ، وتفرغ لتمتلىء ، من الصباح الباكر حتى ساعة متأخرة من الليل ، برغم نظام الدفاع السلبي ، وحجب الانوار ، وضرورات الحرب ، وبرغم انصراف الموظفين من دواوينهم في الساعة الثالثة عشرة .

ثم يخيل اليه انه يردد بدوره هذه الكلمات :

— والتجار انفسهم يقفلون محالهم بعد ظهر السبت ، ليستأنفوا العمل ضحى يوم الاثنين او حوالي وقت الظهر . . . هؤلاء الناس الذين يوزنون خطاهم ، ويزنون الوقت بمثل ثقله ذهباً ، هم ايضاً سيهجرون المدينة فتقفر اسواقها ، وتصفر الريح في منعرجاتها ، ويطن الذباب ويزدحم الغبار . فيجيب الصوت الآخر :

— وباعة الخرضوات وسائر من يطلق الناس عليهم لقب « دبوس » ، والحذاءون ، و « معلم » الخضرة ، واضرابهم من الذين يتعاطون الوساطة والسمسرة ، دونما رأس مال سوى الزنود المفتولة ، والصوت العنتري ، والمسدس والسكين . . . جميع هؤلاء سيكفون عن نشاطهم طيلة الساعات الثماني والاربعين المقبلة ، لينصرفوا الى ملاهي المدينة ، في رأس بيروت او محلة الجناح ، في مقاه تقوم هناك عند شاطىء البحر ، يتلهى روادها بنارجيلاتهم او كؤوسهم ، ويكحلون الابصار بزرقة البحر وما تلفه مياهه وامواجه من اجساد المستحمين والمستحمات ، وخاصة هؤلاء اللواتي يعرضن مفاتنهن على الشاطىء ، رخيصة مبتذلة ، في زحمة نظرات تتنزى شهوة واثماً .

ويحاول رضى بك ان يتمتم بهذه الكلمات :

— حتى الحمالون وماسحو الاحذية الذين تضيق بهم سوق النورية ، والافرنج ، وساحة الشهداء ، وما بينها من طرقات وازقة ، فانهم يختفون في ختام الاسبوع ، كأنما هشت عليهم بعصا . . بيد ساحر ، فقذفت بهم الى قراهم ، واعادتهم الى الارض التي هجروها وهجروا معها الصحة والغنى والعز .

يرى رضى بك شوارع بيروت واسواقها ، وملاهيها ، ودور الحكومة فيها تخلو واحدة بعد اخرى ، على هذا الشكل ، بين سمعه وبصره . ثم ينظر الى وسائط النقل ، فيجدها تتجه منذ ضحى يوم السبت في رتل لا آخر له ، نحو الجبال تتسلقها بسرعة من يخلف وراءه زبائن ينتظرون عودته ، وبرغبة من يقاضي اولئك الزبائن اضعاف ما تبيحه التعرفة الرسمية للاجور .

ثم يذهب به الخيال الى سطوح الفنادق وباحات المقاهي ، وارصفة الطرقات ، في مراكز الاصطياف ، في هذه العشية من آب .

فيحسب نفسه قد زج في عربة من عربات الترام ، يتكدس فيها الناس على المقاعد ، وبينها ، في الممرات ، تكدس ابالات القطن والنسيج في مستودعات المحتكرين . ثم تعزف الاجواق انغامها الصاخبة ، ويهب الهواة والهاويات الى التباري في رقص ما تركوا له مظهراً من مظاهر الرياضة الا خنقوه بخلاعة لا تقف عند حد ، وتبذل ينحط بصاحبه الى اسفل دركات الانسانية في مجاهل افريقيا السوداء ! ويمتلئ المكان صخباً ، وتتخم الاجواء دخاناً تتنفس به الصدور اصفر كأسنان المدمنين ، وخمراً تنفثه الافواه لهاثاً اغبر ، وكبريتاً يلقيه بعض الناشئين والناشئات بين ارجل اخوانهم واخواتهم ، وهم في مرحهم الصبياني يشرقون بعيون شرهة نقائص هذا المجتمع ، ويتلقحون بجراثيمه .

وتتبارى الآلة بين يدي « الفنان » والانسان في حضارته المزيفة ، في مجون وهرج ومرج ، تبلغ عنان السماء اصواته «المنسجمة» في بوتقة من الاصول الحديثة ، حتى لترتجف الاشجار المجاورة جزعاً ورعباً .

لذلك يفضل رضى بك ان يصطاف في القرى التي لم ... تفسدها هذه الحضارة ، فاحتفظت بطابعها الريفي الجميل : روعة الطبيعة ، وجهد الانسان ، في اطار من الحب والاخلاص لهذه الارض الحنون

اما هؤلاء الذين يغزون القرى الهادئة الآمنة ، ليقيموا مكان الكرم حانة ، وفي الحقل فندقاً ، وعلى العين مرقصاً ، فان رضى بك يمقتهم ويمقت فيهم هذه الاثرة الاستغلالية وذلك الهوى الاستقطابي : يهدمون روائع الكون وبدائع الخلق ليبنوا اكواخاً للفجور ، واعشاشاً للرذيلة !

وقد عاش صاحبنا ما عاش يأبى ان يضع قدميه في عاليه او صوفر ، من مراكز الاصطياف الكبرى ، وان كان من اعرق الاسر في البلاد ، ومن اقدمها عهداً بهذا الترف الذي انقلب في السنين الاخيرة وباء ... ينتشر بسرعة مخيفة مرعبة . بل هو يفضل زاوية هادئة من زوايا الجبال ، تستريح فيها اعصابه وتنبسط نفسه ، ويهدأ باله ، وينقى وجدانه ، ... وتحمر وجنتاه ! فلا يستكمل المصيف اسباب الراحة والهناء في رأيه حتى يكون الناس فيه قلة ، والبقر والاشجار كثرة ساحقة . فرضى بك يحب الناس ويخشاهم ، يعاشرهم كيلا ينسوه حياً ، ويخالطهم كيما يفتقدوه ميتاً ، ويعتقد ان البقر انفع في لبنان من كثير من اولئك الناس ... وخاصة طلاب الوظائف المدمنين .

*

ومع ذلك فان رضى بك يتحرق شوقاً في هذه العشية من آب الى سهرة في احدى الجنان التي ينفر اليها الناس من المدينة خفافاً وثقالا ... فقد ودعه اليوم جميع زملائه ، من يحب منهم ومن يكره ، وهم يدعونه الى قضاء العطلة المقبلة في قراهم . فهذا بقاعي يفخر بزحلة و« بردونيها » ووادي العرائش يحنو على النهر حنو الاضلاع على قلب خفاق . وذاك « متني » يجد النعيم في ضهور الشوير وما انتشر في روابيها من ظلال وخضرة وجمال لا تبلى جدته . وذلك « كسرواني » يفاخر بنبع العسل واللبن يتفجران في سفوح صنين ليحييا الجرود والسفوح والاودية فاذا انت في جنان فاريا وميروبا وريفون ... وذياك « شمالي » لا يستشعر دفق الحياة الا في ربوع الضنية الفاتنة او قمم الارز الخالد من سير الى اهدن فبشراي !

وكلهم يسأله :

— « اين تصطاف يا ... بك ؟ »

فيجيب متهكماً حانقاً في وقت واحد :

— « على السطوح ! »

ولعل ازمة النقل ، بعد خمس سنوات من حرب لم تلق البلاد منها غير بعض الاوبئة والحرمان ، على وفرة المحاصيل وكثرة المال ، هي السبب الرئيسي في احجام كثير من الاسر المحترمة ، التي لم تصب من ارباح الحرب ، عن الصعود الى الجبال ، والتمتع بنعيم الحياة في تلك الاجواء البديعة المريحة المنعشة .

ثم هذا الجشع في نفوس بعض القرويين ... فقد سرى اليهم من تجار انقلبوا بين عشية وضحاها من باعة متواضعين الى محتكرين يلعبون بالذهب ، ويذكرون الملايين فلا يتلعثم لهم لسان !

*

صحا رضى بك على صراخ يتعالى في الحي ، واصوات منكرة يتردد صداها في جنبات منزله . فلم يصدق ما قالته له الخادم من ان قتالاً نشب بين فريق من الاكراد وفريق من الارمن ... راحوا يتنازعون على ماء ينصب في السبيل المجاور ، حتى جاءت سيارة الاسعاف ، تنعق كالبوم ، وجمعت الجرحى ، من بين حطام الاباريق والجرار ...

رشاد المغربي داعوق



وحي الرافدين

للاستاذ محمد علي الحوماني (الجزء الثاني) – ٤٠٣ صفحة – مطبعة الكشاف ، بيروت

يستأنف الاستاذ الحوماني في هذا الجزء حديثه عـن تأثراته الشخصية التي خلقتها في نفسه زياراته للعراق ورجالاته السياسيين والعلماء والادباء والمصلحين، فيتناول تحليل هذه الشخصيات وتبيان ميزاتها ، ويكاد نقده لها يقتصر على مزاياها . ولكن حديثه عنها يشمل مجالي متعددة من التفكير الجامع والاراء الناضجة في الحياة، ويتناول تحليل كثير من الاراء المعروفة وغير المعروفة بمنطق صائب، وحظ كبير من سلامة التفكير وبعد النظر .

والسمة المميزة لهذه الصور التي يعرضها الاستاذ الحوماني لرجالات العراق ، هي انها تنشر في اطار ينطـق بالحرارة العميقة في البسط والتحليل والدفاع المنطقي الصافي ، بحيث ان القارىء يلفي نفسه مهتماً كل الاهتمام بما يقوله المؤلف ، معنياً بتتبع افكاره الواضحة الى حد بعيد .

والقارىء ، بعد ، يفيد من الكتاب اطلاعاً واسعاً على احوال العراق الشقيقة الاجتماعية والثقافية وحتى السياسية ، ويجد في ذهنه صوراً عن شخصيات العراق ، اغلب الظن انها صور صادقة ، رغم ما يكون قد لحقها من مبالغة وغلو . وأياً ما كان فهو سفر جامع يجد فيه المؤرخ مادة غزيرة لما يود ان يبسطه عن بلاد الرافدين .

واما الاسلوب الذي افرغ به الحوماني هذه التأثرات ، فهو اسلوب جزل فيه كثير من الصفاء والروعة والسلاسة وجمال الايقـاع ، وهو لا يقل قوة وعذوبة عن اسلوب الحوماني في شعره الرائع .

س . ا

مصر والشام في الغابر والحاضر

للدكتور اسعد طلس – ١١١ صفحة – دار المعارف بمصر

دفع انشاء جامعة الدول العربية المؤلفين الى اختيار موضوعات ابحاثهم من الميادين التي تسعى الجامعة الى العمل فيها ، من ايجاد التعاون في شتى مرافق الحيـاة ، وتقوية الصلات بين البلدان العربية .

والكتاب الذي اصدره اخيراً الدكتور اسعد طلس عن « مصر والشام في الغابر والحـاضر » استجابة لهذه الرغبة التي يبديها العالم العربي لتيسير عمل الجامعة نحو التكتل ، هذا التكتل الذي نريده قائماً على فهم صحيح لجذوره القديمة في مراحل التاريخ ، وعلى وعي عميق لحاجات حاضرنا ولآمالنا في المستقبل .

ولكن الى اي مدى وفق الدكتور طلس في خدمة هذه الرغبة؟ ذلك ما نحاول الجواب عنه فيما يلي :

هذا الكتاب قسمان ، يبحث القسم الاول العلاقات السياسية بين القطرين ، ويصور القسم الثاني العلاقات العلمية والادبية .

ولا شك ان الكتاب ، كما يفهم من عنوانه ، يبحث العلاقات في الغابر اولاً ، وفي الحاضر ثانياً ، ولكن القارىء بعد ان يجتاز مراحل التاريخ ، منذ اقدمها ، ينتظر ان يصل الى تصوير العلاقات السياسية في العصر الحديث ، فيفاجئه المؤلف باسدال الستار عند عصر محمد علي الكبير، كأن العلاقات السياسية قد انقطعت عصرئذ، او كأن الدكتور طلس الف كتابه في ايام محمد علي ! ثم يختم هذا الفصل بقوله : « واليوم تهفو قلوب كل سكان البلدين الى شقيقه ، فالله اسأل ان يحقق هذه الاماني ويجمع الشمل ... » . اهذه هي العلاقات السياسية التي قامت في العصر الحديث بين القطرين ! ام ان المصادر لم تسعف المؤلف ولم تمده بما امدته به في مراحل التاريخ السابقة ؟

وخطة السير التي يسير عليها المؤلف في كتابه ، هو ان يتحدث عن تاريخ كل من القطرين في كل مرحلة من مراحل التاريخ ، كل قطر على حدة ، قـد يلتقيان في بعض المواضع ، وقـد ينفصلان ، فيبتعد الخطان عن بعضهما . وبالرغم من ان مراحل طويلة تنقطع فيها العلاقات بينهما او تضعف ، فان المؤلف يفيض في سرد تفاصيل هذه المراحل دون الاهتمام بوجود العلاقات او عدم وجودها . فما القصد من تفصيل حالة الشام تحت الحكم العبـاسي وحالة مصر تحت الحكم نفسه ؟ اذا كانت الدولة العباسية تحكم مصر والشام على نهج واحد ، فهل يدل ذلك على وحدة البلدين ؟

ان القسم الاول عرض خاطف لما كتبه الاستاذ كرد علي عن

تاريخ سورية السياسي في كتابه خطط الشام، مع الحط عند مواضع العلائق بين القطرين .

والشيء الظاهر الذي يجبه القارىء بصورة قوية هو هذا الحرص على ايجاد وجوه شبه بين القطرين، وقد يبلغ به حرصه الى التكلف الشديد الذي يظهر التاريخ على غير حقيقته . واول اساس نود ان تقوم عليه نهضتنا الحديثة هو الصدق ، فنحن نريد ان نعرف تاريخنا على حقيقته لنصلح مواضع الخطأ منه في مستقبلنا العتيد ، لا ان نلونه بألوان زاهية طامسين بعض الفجوات المظلمة ، ومـا نخدع الا انفسنا . .

ولعل عناية المؤلف بهذه المشابهات راجعة الى اعتقاده بأنها من عناصر الوحدة ، وهذا وهم ، لان بعض الاختلاف والتباين لا يمنع الوحدة مطلقاً ، بل يقويها ويجعلها اشد تماسكاً . . ان مصر ، ولا ريب ، تختلف في تكوينها الجغرافي عن الشام اختلافاً له الاثر البعيد في سكانها ، صحيح ان كليهما من منـاطق البحر الابيض المتوسط ، ولكن وجود نهر النيل افسد نظام البحر الابيض في مصر وكوّنها — جغرافياً — تكويناً جديداً . . فهذا الاختلاف مثلاً ، وما له من آثار ، لا يعرقل الوحدة او التعاون . ولا يقف دونها ، بل يجعل نطاق النفع اجدى على البلدين . وكذلك نقول عن الاختلاف في بعض الميـادين الاخرى . . لذلك نعجب اشد العجب من هذه الجملة التي يفتتح بهـا المؤلف كتابه : « ان متاخمة الارض للارض قد وحدت بين عادات اهليها وطبائعها » . . فهل صحيح ان العادات والطبائع واحدة في البلدين؟ وهل من الضروري ان تكون واحدة؟ ومتى كان الجوار يوحد بين العادات والطبائع؟ ان تركيا وسورية بلدان مجاوران ، والمانيا متاخمة لفرنسا، وفرنسا متاخمة لاسبانيا، وانكلترة متاخمة لايرلندا . . ليس من الضروري ان يكون الجوار جامعاً وموحداً في الجغرافية والتاريخ والعقلية . . بل كثيراً ما يكون عاملاً لعداوة تقليدية تتناقلها الاجيال . . !

وبالرغم من ان اختيار موضوع هذا الكتاب اختيار غير موفق ، لانه يفصل جزئين من اجزاء العالم العربي ، ويحاول ايجاد صلات خاصة تطبعهما بطابع خاص وتميزهما عن بقية الاجزاء، بالرغم من ذلك لم يستطع المؤلف ان يحقق كتابه تحقيقاً علمياً كاملاً ، فهو يقول في صفحة ١٤٠ « ومن يلاحظ خطوط التاريخ في تلك الفترة يجد ان البلاد لم تكن تعامل بالحسنى والخير الا في عهد خليفتين اثنين : الرشيد وابنه المأمون فقد كانا يعطفان على هذين القطرين ويخصانهما بافاضل العمال والرجال ويوجبان عليهم الرأفة والرحمة والعدل » . .

اما انها عوملا بالحسنى والخير فلأن الامبراطورية كلها كانت ترتع في مثل هذه المعاملة في عهد هذين العاهلين ، واما ان الرشيد والمأمون كانا يعطفان عـلى هذين القطرين و « يخصانهما » . . . و « يوجبان » الرأفة عليهما . . . فالجواب يجده المؤلف في قـول المأمون عندما تعرض له رجل بالشام وقال له : يا امير المؤمنين انظر لعرب الشام كما نظرت لعجم خراسان فقال له المأمون : اكثرت عليّ يا اخا اهل الشام . والله ما انزلت قيساً عن ظهور الخيل الا وانا ارى انه لم يبق في بيت مالي درهم واحد » .

وواضح جداً من عرض تاريخ البلدين ان العلاقات لم تكن بين مصر والشام فقط ، بل كانت علاقات مستمرة مع الزمن بين كل اجزاء العالم العربي ، والشام ومصر جزآن منه . ويرى المؤلف ان العلاقات العلمية والادبية بين القطرين كانت في الرحلات التي قام بها رجال مصر الى الشام ، ورجال الشام الى مصر وهذه ظاهرة جد عادية ، فالرحلة عند علماء العرب وشعرائها مألوفة معهودة ، حتى ان بعض العلماء يجعل الرحلة اساساً لكمال العلم . والرحلة لم تكن ظاهرة شامية مصرية ، بل كانت تشمل العالم العربي باسره ؛ وان التزاور بين الشام والعراق — مثلاً — لم يكن اضعف مما كان عليه بين الشام ومصر ، اقول ان الرحلات المتبادلة بين الشام ومصر لا يجب ان تدفعنا الى الاغراق في الاستنتاج فنبني عليها علاقات متينة الدعائم ، والمؤلف نفسه اضطر الى ان ينص على ان كثيراً من الشعراء العراقيين زاروا الشام ومصر مثل ابي نواس ودعبل الخزاعي وابي تمام ، وقد افاض المؤلف في الكلام عنهم وعن رحلتهم . . !

ان رحلة شخصيات العلماء والادباء ليست ذات قيمـة واثر امام رحلة المذاهب الدينية ، والتيارات الفكرية ، والاتجاهـات السياسية ، وانتقالها من بلد الى بلد ، ولكن المؤلف عني برحلة الاشخاص المادية ، وعني بسردها ، واهمل الناحية المعنوية اهمالاً بيناً . . . ان العلاقات الثقافية بين هذين القطرين ، لا تنحصر ياسيدي الدكتور — برحلة قام بها الف رجل من الشام الى مصر ، او بالعكس في خلال عصور التاريخ المتطاولة ، ان رحلة كتاب قد يكون له من الاثر البعيد اكثر من مجموعة من الرجال الذين حرصت على ذكر اسمائهم وذكر نواحي الاختصاص التي امتازوا بها .

وقد اعتمد الدكتور طاس على الاستاذ كرد علي في مواضع كثيرة ، يذكر اعتماده عليه حيناً ويسكت عن ذلك احيانـاً ، وقد خانه التوفيق في الاعتماد على الاستاذ كرد علي في مواضع يبدو

الخطأ فيها واضحاً ، وخاصة عندما يدلي برأيه في الاسباب التي دعت نابليون الى التفكير باحتلال الشام .

ومما يدعو الى الاسف ان اسلوب الكتاب تشوبه الركاكة والضعف والتفكك ، وان كتاباً يهدف الى توضيح قوة العلاقات بين بلدين – وليس بين بلادين كما يقول المؤلف في ص ١٩ – ، جدير به ان تكون اللغة التي تجمعهما وتعبر عن آمالهما سليمة مستقيمة، غير ركيكة . . .

بعد هذه الملاحظات التي ابديتها ارجو ان يسمح لي المؤلف ، وان تأذن مجلة الاديب التي حملت على كاهلها اداء رسالة العروبة الى الجيل الجديد ، ان اطلب الى الدكتور طلس ان يعيد وضع الكتاب من جديد ، فيقسم موضوعه تقسيماً معقولاً ، ويعنى بالآثار الفعلية التي احدثتها هذه العلاقات ، ودراسة هذه العلاقات دراسة موضوعية يظهرها عندما كانت ضعيفة ، ويبينها عندما قويت . . على ان لا ينسى شيئاً واحداً لم ينسه التاريخ هو عدم ذوبان شخصية اي قطر من القطرين في الآخر وعلى ان يخفف من مسحة الملق والمجاملة التي تحملها كل صفحة من صفحات هذا الكتاب .

دمشق «عروة»

المفكرة الريفية

للاستاذ امين نخله – ١٢٦ صفحة – الطبعة الثانية ، بيروت

اخرجت دار الطباعة والنشر الشرقية في بيروت الطبعة الثانية من «المفكرة الريفية» لمؤلفها الاستاذ امين نخله . وقد كتبنا عن الكتاب لدى صدور طبعته الاولى . (راجع الاديب العدد ٧ السنة الاولى) .

وتمتاز الطبعة الثانية بانها «منقحة ومصورة ومزيدة» ، منقحة بتصحيح اخطاء الطبعة الاولى ، ومصورة بوضع رسم المؤلف مع الاستاذ خليل مطران بك ، ومزيدة بلحق يسجل المراسلة «المطرانية» التي دارت بين الاستاذين خليل مطران وامين نخله ، ويسجل مناظرة لغوية في حرفين من «المفكرة» دارت بين المؤلف وبين الاستاذين المرحوم الشيخ مصطفى الغلاييني والشيخ ابراهيم المنذر .

حرب الشعوب

للاستاذ قدري قلعجي – ١٤٦ صفحة – منشورات مجلة الطريق ، بيروت

الاستاذ قدري قلعجي رئيس تحرير زميلتنا «الطريق» من الكتاب الاحرار الذين ساهموا طيلة هذه الحرب بانتاجهم الفكري في الدفاع عن الحرية وحماتها وعن الثقافة المهددة ، ومن الذين يعتقدون ان الاديب الحق لا يعيش على هامش التاريخ بل يصنع التاريخ ، انه يفهم قوانين حركته فيفيد منها ويعرف اتجاه التطور فيسير في طليعته ، وهكذا يكون ادبه القائد الهادي .

وهذا الكتاب الذي سماه «حرب الشعوب» – وهو عنوان لاحدى مقالات الكتاب – سجل لانتاج الاستاذ قلعجي في فترة الحرب . وبالرغم من ان اكثر مقالات الكتاب كتبت في مناسبات خاصة ، وفي موضوعات متنوعة ، فانها لم تفقد مناسبتها ولا اضاعت وحدتها ، فهي تمتاز بروح النضال الفكري الحر الذي يضفي على الكتاب كله قوة في الرأي واخلاصاً في العقيدة ، وهذه المقالات اما تمجيد لبعض اعلام الحرية في هذه الحرب ، واما تحية لبعض الامم التي ساهمت في انقاذ الانسانية من الانهيار والحضارة من الدمار ، وتحليل واف عميق لنواحي عظمة هذه الامم ، وإما تعليق وشرح لتطورات الحرب واحداثها الكبرى وبيان معانيها .

النهضة الادبية في لبنان

للاب جبرائيل ابي سعدى – ٦٣ صفحة – مطبعة دير المخلص ، صيدا

الاب جبرائيل ابو سعدى ، استاذ الآداب العربية في كلية القديسة حنة «الصلاحية» في القدس ، رجل طلب العزلة بين جدران الدير ، يعمل في صمت ونشاط ، فأبت اشعاعات فضله الا النفاذ من تلك الجدران الى ميدان الحياة الواسع ، حيث يفيد بأدبه الرائع ، ويساهم في بناء النهضة الادبية الفلسطينية التي ما تزال تتحسس طريقها الى الميدان الذي تصطرع فيه الافكار ، وتصطخب فيه الاخيلة والاراء ، والذي لا يحيا فيه غير «المادة» التي لها من غزارتها وعمقها ودقتها وصحتها مناعة ضد الفناء ، وحيث يقال للمسيء : اسأت فاقعد ؛ ويقال للمحسن : احسنت فهات وزد . ولقد اثبتت مؤلفات الاب جبرائيل ابي سعدى التي نزلت قبل اليوم الى هذا الميدان مناعتها واهليتها للحياة .

ولقد كنت وعدت قراء «الاديب» الاغر في عدد سابق (الجزء السادس – السنة الرابعة) بان اعود الى تقديم بعض نتاج الاقلام الفلسطينية على صفحات هذه المجلة الراقية ؛ ويسرني ان يكون موضوع حديثي اليوم الآن احد مؤلفات الاب جبرائيل ابي سعدى ، وهو كتيب صغير عنوانه «النهضة الادبية في لبنان» . ولما كان المجال لا يسمح لنا بالاطالة في العرض والتحليل ، لذلك نكتفي بكلمة قصيرة جداً نقولها لبيان قيمة الكتاب ، خدمة

الادب والحقيقة .

لقد كان هذا الكتاب قبلاً موضوعاً لمحاضرة القى المؤلف الفاضل بعضها في نادي الاتحاد الارثوذكسي في القدس ، بيد انه لم يشأ ان يحرم عشاق الادب متعة وفائدة الاطلاع عليها كاملة ، فعمد الى نشرها في « الرسالة المخلصية » ثم جمعت في كراسة مستقلة .

والذي يطالع هذا الكتاب يرى فيه محاسن كثيرة : فهناك الموضوع القوي ، والتحليل الدقيق العميق ، والاستقصاء التاريخي الذي يدل على ان المؤلف الفاضل قد بذل في ايفاء بحثه جهداً كبيراً مشكوراً ، وهناك الاسلوب البياني الرشيق المتين الذي يجعل القارىء في مطالعته راضياً مغتبطاً . ولست اغالي ولا اجامل صديقي المؤلف اذا ما قلت ان هذا الكتاب يستحق ان يكون - وسيكون بلا ريب - احد المراجع في تأريخ نهضة الادب في لبنان ، وسيغني عن عدد من المطولات التاريخية وغير التاريخية التي بحثت في موضوع هذه النهضة . ولا عجب فالاب جبرائيل ابو سعدى اديب صقلت ادبه ووسعت مناحي ثقافته دراساته الطويلة ، واطلاعه على اهم وارقى الآداب العالمية ، وعلى الاخص اليونانية واللاتينية والفرنسية ، ثم كان له من نفاذ بصيرته ، وعمق فكرته ، رأي صائب ، وحكم دقيق ، واستنتاجات موفقة ، جعلت مكانته بين اصحاب الطليعة من كتّاب وادباء هذا القطر العزيز « فلسطين » .

وكم كنا نود لو خلا الكتاب من الاخطاء المطبعية الكثيرة المنتشرة بين سطوره ، والتي قد تسبب احياناً عكس المعنى او تشويهه ، ولكنها على كل حال لا تخفى على فطنة القارىء ، ولا تنقص من قيمة الكتاب .

القدس عيسى ابراهيم الناعوري

على ضفاف دجلة والفرات

للاستاذ ظاهر الطناحي - ١٤٠ صفحة - دار المعارف بمصر

مجموعة قصص من صميم الواقع ، مسرحها العصر العباسي ، كتبها ببراعة وحسن اداء الكاتب القدير الاستاذ طاهر الطناحي ، وهي بحق باكورة ادب قصصي يجلو التاريخ ويحيي الحوادث ، ويسوق الذكريات في غير تكلف او اضطرار .

وعندي ، اننا احوج ما نكون ، الى مثل هذه المجموعة التي تدفع بك في رفق ولين الى اجواء العصر العباسي فتعلق بذهنك من هاتيك الطرائف ، ما يجعلك تستسيغ دراسة ذلك العصر .

وهي فوق هذا ، كتاب ادب ، يصلح للجميع ، بما حوى من ابداع في الرد ، وتصرف لبق في السياق ، وصدق في طرائق الرواية .

افراح الربيع

للاستاذ حسن البحيري - ٩٦ صفحة - القاهرة

مجموعة شعر ، انيقة الاخراج ، رائعة العرض ، نظمها الشاعر الفلسطيني حسن البحيري ، وجرى فيها مجرى الشعر المصري الحديث . فيها عاطفة وادعة وتصوير هادىء ، وخيال ليس بالجامح المسرع المنفلت . وفيها فوق كل ذلك مقدرة فائقة على التعبير عن جمال الطبيعة ووصف مفاتنها .

وهذه المجموعة ، مثل « الاصائل والاسحار » مجموعة الشاعر السابقة ، تنبىء له بآفاق فساح في عالم الشعر ، وتبشر للشعر في فلسطين بتطور نترقبه منذ زمن .

كهفانه

للاستاذ حسن ريدان - ٨٠ صفحة - منشورات دار النهضة بيروت

قطع من الادب الحي - ادب الخلق - في شعره ونثره ، وفي الحق انه عبر عن الاماني القومية تعبيراً قوياً ، يحرك في الشخصية القومية اعمق فعالياتها . واسمعه اذ يقول :

يا عروساً على المقابر تسهد مزقي الليل والقناع الاسود
لا تظني النهار مات وولى كل شيء بموته يتجدد

وهو في مقدمته يشرح غاية مؤلفه وبالاحرى منزعه الحزبي ، وابطال هذه الغاية في قديمها وحديثها ، وتعلق في ناظريه اشعة مصابيح ثلاثة ظلت ثابتة غير متخافتة واذا اخذنا عليه شيئاً فانما هو الحد الضيق في واعيته القومية ، التي باتت وجهاً من وجوه الرجعية في دنيا العرب ، وواقعهم المتحرك بالحياة .

جولة الأديب في شهر

جالت الاديب في الشهر الماضي تحت وابل القنابل في دمشق، وقدم الاستاذ شكري فيصل في تلك الجولة وصفاً مسهباً لوقيعة الفرنسيين بعاصمة الامويين وعدوانهم على اهاليها. وكان لهذا الحدث الفظيع صداه على اقلام الكتاب في انحاء العالم، تناولته بالتحليل والتعليق والاستنكار.

وحتى في فرنسا نفسها، لم تستطع الرقابة الشديدة على النشر، ان تحول بين بعض الذين يرون الامور كما هي في الواقع، وبين ان يعلنوا ذلك فيما يقولون وما يكتبون، فصرخ بيير كوت في المجلس الاستشاري في وجه ديغول قائلًا: تقول اننـا قمنا بصنع المرافئ والسدود في سورية، نعم لقد صنعنا سدوداً ولكنها لتقف في وجه استقلال تلك البلاد... وكتب الصحافي الفرنسي المشهور «هارفي» يقول: ان اعمالنا تكذب اقوالنا، ومثل هذا القول وفي مثل هذا الاتجاه قالت السيدة فيانو وغيرها. فاذا وقف بعض الذين يجري في عروقهم دم اولئك الطغـاة المعتدين، موقف المستنكر.. فكيف يكون موقف حملة الاقلام العربية؟. ان هذا السؤال لا يحتاج الى جواب لو ان الامور تسير على طبيعتها دون شذوذ او التواء.. ولو ان الدكتور طه حسين ترك نفسه على سجيتها فلم يتكلف هذا التكلف الشديد، الذي دفعه الى التحدث عن اخطار بضع دقائق قدم بهـا تشرشل اعلان رسالته الى ديغول.. وعن ملاءمة ذلك للتقاليد الديبلوماسية او عدم ملائمتها لهـا... والدماء في دمشق تسيل، والآمنون العزل يسقطون صرعى مدافع المجرمين..

بين طه حسين وخليل تقي الدين

• مقال الاستاذ خليل تقي الدين

ولم يشأ الاستاذ خليل تقي الدين، وهو سكرتير الوفد اللبناني الى الجامعة العربية، ان يسكت عن هذا الاستقبال الذي يستقبل به الدكتور طه حسين الوفود العربية فانشر مقـالاً في مجلة «آخر ساعة» تحدث فيه عن بعض ذكرياته مع الدكتور طه، كانا في آب عام ١٩٤٤ يجلسان في حديقة فندق بيت مري، وكان الفرنسيون في ذلك الوقت قد اقاموا الارض واقعدوها لمناسبة تحرير باريس على يد قوات الحلفاء، واطلقوا ابواقهم في انحاء لبنان تجأر بهتافاتهم، ثم قال:

... واخذنا في الحديث فباح لي الدكتور طه بألمه لما تخلل افراح الفرنسيين الحقة من تحدّ واستفزاز وقال لي: «اليس عجيباً ان لا يرى المرء بين كل هذه الاعلام الفرنسية علماً واحداً للبلد الذي ينزلونه وصورة واحدة لرئيس هذا البلد؟»

وروى لي الدكتور كيف ان ادارة الفندق نزولا على رغبة الفرنسيين المصطافين فيه اقامت في الليلة السابقة سهرة راقصة احتفاء بتحرير باريس واردف قائلا: ولكنني وزوجتي أوينا الى غرفتنا بعد العشاء، مؤثرين الابتعاد عن هذه المظاهرات التي تؤذينا نحن الاثنين وتؤذيني انا بصورة خاصة وقد يدهشك ان تعلم ان زوجتي وهي فرنسية شاركتني في عاطفتي هذه ولم تفهم معنى لتحدي ابناء جنسها لاهل لبنان. اكبرت في الدكتور طه وزوجته الكريمة هذه العاطفة وصارحته باعجابي بشعورهما وتطرقنا الى سياسة فرنسا، فقال الدكتور طه: — الواقع ان ديجول يريد ان يبرر سياسته تجاه الشعب الفرنسي. وانت تعلم، او لا تعلم ان دعـاية فيشي كانت تصوره للشعب الفرنسي بصورة الرجل الذي سلم كل شيء الى الانكليز وتنزل للحلفاء عن اجزاء هامة من الامبراطورية الفرنسية، فهم يعيبون عليه انه افقد فرنسا شمـالي افريقيا، وهم يعيبون عليه انه افقد فرنسا الهند الصينية، وهم يعيبون عليه انه افقد فرنسـا سوريا ولبنان، ولكن ذلك كله لا يبرر في نظري هذا التحدي وهذا الاستفزاز لكم انتم اللبنانيين».

... وتمضي الايام فتوقع فرنسا عدوانها على سوريا ولبنان، وتهبط مصر في اوائل حزيران «يونيه» سنة ٩٤٥ وفود البلدان العربية ومن بينها وفدان يمثلان سوريا ولبنان ويحملان الى مجلس الجامعة العربية اماني بلدين مناضلين في سبيل استقلالها وسيادتها، وقد خلفا وراءهما مدناً هدمتها مدافع الفرنسيين، وقبوراً ملئت بشهداء جشع الاستعمار، واذا بالدكتور طه حسين، الاديب العربي

الكبير ، يطالع الوفود العربية بمقالات كالانهر طولا والتواء يحاول فيها ان يدافع عن سياسة ديجول تحت ستار الثقافة والادب والفن؟

وقيل لنا : « لا تؤاخذوه تلك احقاد رجل اقصته السياسة عن الوظيفة . » وقال آخرون : « ما دخلت السياسة شيئاً الا افسدته . »

اما نحن فلا ندري ما نقول .

رد الدكتور طه حسين

ويرد الدكتور طه بمقال يفتتحه بهذين البيتين

مهلاً بني عمنا مهلاً موالينا لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا
لاتطمعوا ان تهينونا ونكرمكم وان نكف الاذى عنكم وتؤذونا

ويقول انه « ليس من حسن الادب في شيء ان يقحم غريب نفسه في شؤون الناس ويدخل من امورهم فيما لا يعنيه ، ولست ادري ما الذي يعني الإستاذ خليل تقي الدين اللبناني من ان الحكومة المصرية قد احالت الدكتور طه حسين بك المصري على المعاش واقصته عن منصبه ؟ وما دخل هذا بما يقوم الآن بين فرنسا ولبنان من خلاف ؟ ومتى اباح الاجانب (كذا) لانفسهم ان يدخلوا بين المواطنين وحكوماتهم ؟

ومن المحقق ان حكومة لبنان ليست هي التي احالتني على المعاش واقصتني عن المنصب وانما فعلت ذلك حكومة مصرية كان يرأسها الدكتور احمد ماهر باشا رحمه الله . فما دخل كاتب لبناني في هذا الشأن ؟

ومن المحقق ايضاً ان الانجليز حلفاء مصر منذ تسعة اعوام . واصدقاء لبنان منذ عامين ليسوا هم الذين احالوا الدكتور طه حسين بك على المعاش واقصوه عن المنصب وانما فعلت ذلك حكومة مصرية . فما دخل الكاتب اللبناني الذي يستمتع بالصداقة الانجليزية في هذا العهد الحديث بهذا الشأن ، وما خوضه فيه ؟

ثم يقول الدكتور انه ليس من خصال العربي الكريم ان يقحم نفسه فيما لا يعنيه وان الجامعة العربية انشئت لدفع العدوان عن العرب ، ولم تنشأ لتبيح للبنانيين ان يعتدوا على المصريين في اوطانهم .

وبعد فماذا ينقم الاستاذ خليل تقي الدين من الدكتور طه حسين بك ؟

ينقم منه انه كان يعيب على الفرنسيين ما اظهروا من غطرسة وتحد للبنانيين في الصيف الماضي وانه الآن يدافع عن الفرنسيين وعن الجنرال دي جول باسم الثقافة والفن ؟

فليعلم الاستاذ خليل تقي الدين اني عبت على الفرنسيين ما اظهروا من الغطرسة والتحدي ، واني تحدثت بذلك الى كل من لقيته من اللبنانيين ومن الفرنسيين انفسهم في لبنان واني ما زلت اعيب على الفرنسيين غطرستهم وتحديهم في لبنان . واني قد سجلت هذا تسجيلاً في المقالين اللذين ينكرهما الاستاذ دون ان يقرأهما الا ان يكون قرأهما ولم يفهمها ، لان فيهم التواء لا يلائم عقله المستقيم .

وليس ادل على ان الاستاذ لم يقرأ هذين المقالين او لم يفهمها من اني لم ادافع فيهما عن فرنسا ولا عما صنع الفرنسيون في سوريا ، وانما انكرت ذلك انكاراً عنيفاً اشد العنف . انكاراً لم يجر به قلم الاستاذ خليل تقي الدين ولا اقلام امثاله من الذين يحسنون التفكير في غد والاحتياط للعواقب .

لم ادافع عن عمل الفرنسيين في سوريا ولا يمكن ان ادافع عنه ولا يمكن ان يدافع عنه عربي ولا ان يدافع عنه انسان متحضر يمقت العنف كما امقته ، ويزدري العدوان كما ازدريه .

وانما لاحظت ان تصرف المستر تشرشل مع الجنرال دي جول لم يكن ملائماً للتقاليد الدبلوماسية لانه اعلن رسالته الى الجنرال في لندرة قبل ان تصل الى الجنرال في باريس ، ولان هذا التصرف قد عقد الامور بين الفرنسيين والبريطانيين . وقد اعترف المستر تشرشل نفسه بهذا الخطأ ، واسف له واعتذر منه في مجلس العموم . فاذا اراد الاستاذ خليل تقي الدين ان يكون انجليزياً اكثر من الانجليز ، ومدافعاً عن مستر تشرشل اكثر من مستر تشرشل نفسه فله ان يضع نفسه حيث يريد ، ولكن ليس له ان يطلب اليّ انا ولا الى احد من المصريين ان يشاركوه في هذا الاسراف ، لان المصريين لا يحبون الاسراف . وهم يحبون ان تكون الصداقة بينهم وبين الانجليز قائمة على الكرامة لا على التملق ولا على ما يشبه التملق من الخصال .

جواب الاستاذ خليل تقي الدين

تطغى على اكثر صحف مصر في هذه الآونة بعد الغاء الرقابة موجة من المهاترات تؤلم العرب جميعاً ، والمصريين بوجه خاص . ونحن اللبنانيين ابعد الناس عن التدخل في شؤون الغير ، مع اننا لا نعد مصر بلداً اجنبياً غريباً عنا ، كما يريد الدكتور طه حسين بك ان يكون لبنان بالنسبة الى مصر . فان اللبنانيين ، يا سيدي الدكتور ، يعتبرون مصر وكل قطر عربي ، بلدا شقيقاً حبيباً الى قلوبهم ، يسعدهم ما يسعده ويشقيهم ما يشقيه .

وعلى الرغم من ذلك فلم يبح اي لبناني لنفسه اديباً كان او صحفياً او سياسياً او فرداً عادياً من الناس ، ان يتدخل في الخلاف

الناشب بين الوزارة والمعارضة ، او بين الوفد وغيره من الاحزاب المصرية ولم يرتفع صوت في لبنان يدعو الى حزب او ينتقد موقف سياسي ما ، ذلك لاننا نعتبر النقاش في هذه المسائل يجب ان يظل محصوراً في نطاق داخلي بحت وان لايتجاوز حدود مصر . وقرأنا، مع ذلك لكتاب مصريين افاضل ، مقالات تعرضوا فيها الشؤون لبنانية داخلية بالبحث والتعليق ، ولوزراء وزعماء لبنانيين بالحكم على خطتهم السياسية وموقف بعضهم من بعض ، ولم يقم كاتب لبناني فيقول للكاتب المصري ما شأنك ايها الاجنبي في امور لبنان، كما قال الدكتور طه حسين بك لي . وما كنت لاقتحم الحرم الاطهر المقدس المسمى بالدكتور طه حسين بك وارفع ابصاري الى عليائه ، لو لم يتعرض لقضية لا تتعلق بمصر وحدهـا ، بل تتعلق كذلك ، وخصوصاً ، بلبنان . ومن حق كل لبناني ، ومن واجبه ، في هذه الفترة الدقيقة من تاريخنا التي قد يتعلق عليها مصير الاجيال القادمة من ابنائنا ، ان يعمل بكل ما اوتيه من قوة ووطنية واخلاص على دفع عدوان الفرنسيين عنا ، وفتح عيون العرب في كل قطر من اقطارهم على الدعايات التي يقوم الاجنبي بها ، وعلى شتى الوسائل التي يتوسل بها للابقاء على مخالبه منشبة في اعناقنـا وتختلف هذه الوسائل فتكون تارة قنابل ونارا تنصب على المدن الآمنة فتهدم وتحرق ، وتكون طوراً مقالات تجري بهـا اقلام الكتاب لتنفث السم في الافكار وتلقي الشك في النفوس ، كمقالات الدكتور طه حسين بك في تبرير سياسة ديجول .

وماذا قال الدكتور طه حسين بك حتى تعرضنا له ؟

لقد قال بالحرف الواحد : « ان تصرف المستر تشرشل مـع الجنرال ديجول لم يكن ملائماً للتقاليد الدبلوماسية لانه اعلن رسالته الى الجنرال في لوندرة قبل ان تصـل الى الجنرال في باريس وان هذا التصرف قد عقد الامر بين الفرنسيين والبريطانيين » .

اذن فلعينيك ايتها التقاليد الدبلوماسية ! وفي سبيلك يجب ان تضرب دمشق ! وإكراماً لعيون اللياقة والسياسة لا بأس من تهديم بضع مئات من المنازل ، وتقتيل بضع مئات مـن الابرياء وتقطيع ايدي الجنود والتمثيل بهم ، وقتل المرضى عـلى اسرة المستشفيات وانتهاك حرمة البرلمان !

هذا هو منطق الدكتور طه حسين بـك السليم وهذه هي الافكار القوية التي رأى فرضاً عليه ان يذيعها يوم انعقـاد مجلس الجامعة العربية في مصر لدفع العدوان عن سوريا ولبنان .

كلا يا سيدي الدكتور ! نحن لم ندافع عن تشرشل ولكننا نحارب الاستعمار . وايّاً كانت الاسباب التي حدت بك الى ارسال مقالاتك في تبرير عمل ديجول في الساعة التي كانت سوريا تدفن فيها ضحاياها وتواريهم تراباً طاهراً ضُمّخ بالشهادة والبطولة فاننا لا نفهم، ولا تفهم بلدان العرب المناضلة جميعها في سبيل حريتها واستقلالها وسيادتها ، ان يقوم كاتب كبير ، واديب مرموق ، كالدكتور طه حسين بك ، اكرمته البلدان العربية ولم تمن عليه فيسخر قلمه للكلام في الاصول الدبلوماسية ويصم اذنيه عن سمـاع صوت المدافع تقصف في دمشق !

بئست الاصول الدبلوماسية يا سيدي الدكتور وقبحت السياسة اذا كانت اقدار الشعوب يجب ان تكون رهناً على مراعاتها !

وإني على يقين من انني وانا اكتب هذه الكلمة والكلمة التي سبقتها اتكلم باسم بلادي اكثر مما كنت تتكلم انت باسم مصر ، حين جرى قلمك بما جرى به ، وهذه مصر قد شجبتك يوم وقفت من لبنان موقف الظهير والشقيق والمؤاسي والمدافع في حين وقفت انت بمقالاتك هذا الموقف المشبوه !

● وختم المشادة الدكتور طه حسين بكلمة رغب فيها من محرر آخر ساعة ان يضع حداً « لهذا الحوار السخيف في امر يقوم كله على التجني والكذب ، وعلى شيء آخر غير التجني والكذب يقال انه يأكل القلوب كما تأكل النار الحطب ويقال ان الجاحظ قد الف فيه رسالة من رسائله الرائعة » .

ويرى ان الاستاذ تقي الدين قد تجنى عندما زعم انه دافع عن تصرف الافرنسيين ، في حين انه انكره انكاراً لا يحسن ان ينكره « هذا اللبناني الغريب » ! وقد تجنى عندما اقتطع جملة عن الاجراء الدبلوماسي مع انها لا تتصل ابداً بتصرف الفرنسيين .

هذا عن التجني والكذب ، اما عن ذلك الذي يأكل القلوب ، والذي الف فيه الجاحظ رسالة رائعة ، ويعني الحسد ، فلم يقدم الدكتور دليلاً عليه . . !

● هذه هي المشادة التي دارت بين اديبين كبيرين من ادبائنـا نعرضها ملخصة لقراء الاديب ، فهي صورة تدل على مستوى النقد في ادبنا الحديث ، وتدل على اشياء اخرى يحسن القارىء استنتاجها .

مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر

٢٥ حزيران ١٩٤٥ – بدأ في سيملا موتمر زعماء الهند السياسيين الذين دعاهم نائب الملك اللورد ويفل لبحث مسألة اعادة تشكيل المجلس التنفيذي في الهند .

٢٦ – اقر مندوبو خمسين امة في اجتماع الجمعية العمومية لموتمر الامم المتحدة ميثاق السلامة العالمي بالاجماع وكذلك اقروا قانون محكمة العدل الدولية وانشاء لجنة تحضيرية لها .

٢٧ – انزل الحلفاء قوات في جزيرة «كوم» التي تقع على مدى ٧٠ كيلومتراً تقريباً من جنوب غربي ناها عاصمة اوكيناوا .

٢٨ – استقال المستر ستاتينوس من منصب وزير خارجية الولايات المتحدة . وعين المستر بيرنز خلفاً له .

٣٠ – عرف اليوم من اذاعة لوزير داخلية فرنسا ان ثورة خطيرة نشبت في الجزائر اشترك فيها خمسون الف مسلم .

١ تموز – طلبت روسيا من تركيا عدة مطالب لم تعلن بعد .

٢ – احتدمت المعركة الانتخابية في الاسبوع الاخير في انكلترا وشن العمال على سياسة المستر تشرشل حملة عنيفة .

٤ – وافق المجلس الوطني الكبير في تركيا على قانون يخول الحكومة سلطات الطوارئ في حالة اعلان حرب او وقوع عدوان قبل اعلان التعبئة العامة .

٥ – وافقت حكومات باريس ولندن وواشنطن على اشراك روسيا في المباحثات الخاصة التي ستدور قريباً لوضع نظام جديد لطنجة .

اعلن ماك ارثر انتهاء الحملة التحريرية في جزر الفليبين كافة ، وقد بلغ عدد القتلى والاسرى اليابانيين ٢٥٠ الفاً وخسر الاميركيون ٥٥ الفاً بين قتيل وجريح واسير .

كان اليوم يوم الاقتراع في اول انتخابات برلمانية في بريطانيا منذ عام ١٩٣٥ .

٦ – تم الاتفاق بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا على مناطق الاحتلال في فيينا .

عقد في طهران موتمر طبي دولي اشتركت فيه الدول العربية .

٨ – اصدرت الحكومة الفرنسية بياناً اعلنت فيه رغبتها بتسليم الجيوش الخاصة الى الحكومتين السورية واللبنانية .

٩ – وصل الى القاهرة دولة حمدي الباجه جي رئيس الوزارة العراقية ليحضر اجتماع اللجنة الاقتصادية لجامعة الدول العربية .

١٠ – قامت قوة كبيرة من الطائرات العاملة من السفن حاملات الطائرات التابعة لاسطول الولايات المتحدة في الباسيفيك بضرب طوكيو في غارة عنيفة .

بدأت في مصر محاكمة محمود العيسوي قاتل المرحوم احمد ماهر باشا .

١١ – وصل السيد حسن سقا وزير خارجية تركيا الى لندن وسيقابل المستر ايدن وزير خارجية انكلترة .

اعلنت حكومتا سوريا ولبنان ارتياحها لخطوة الحكومة الفرنسية في رغبتها تسليم القوات الخاصة اليها .

١٢ – اصبح من المقرر ان يعقد الاقطاب الثلاثة موتمراً في بوتسدام (احدى ضواحي برلين) يبتدأ من ١٦ تموز القادم .

١٣ – حلت القيادة العليا للحلفاء ولم يعد هناك كيان لهذه القيادة ، وقد ارسل الجنرال ايزنهاور بهذه المناسبة رسالة الى قوات الحلفاء التي اعتزل قيادتها شكرها فيها واثنى على مجهودها حتى بلغت الامم المتحدة النصر .

١٦ – يبدأ اليوم في بوتسدام موتمر الاقطاب الثلاثة بين المستر ترومان رئيس جمهورية الولايات المتحدة ، والمستر تشرشل رئيس الوزارة البريطانية والجنراليسم ستالين .

عقدت اللجنة الاقتصادية الفرعية التابعة لجامعة الدول العربية اولى اجتماعاتها . وكان موضوع البحث انقاذ اراضي فلسطين من الصهيونيين .

١٧ – استقال ثمانية وزراء من الوزارة البلجيكية ، وهؤلاء الوزراء من المؤيدين لعودة الملك الى العرش ، وقد وافق مجلس النواب البلجيكي على مشروع قانون بأنه لا يجوز للملك ليوبولد استئناف مهامه الدستورية الى ان يعلن المجلسان انه يستطيع ان يحكم من جديد .

١٨ – صدر اول بلاغ رسمي عن موتمر الاقطاب الثلاثة يعلن عن وقوع الاجتماع ، وانه سيقوم الرئيس الاميركي بترأس جلسات الموتمر بناء على دعوة من زميليه ، وقد جرى تبادل تمهيدي في وجهات النظر بخصوص المسائل التي تحتاج الى بت من قبل روساء الحكومات الثلاث ، وتقرر ان تعقد اجتماعات منظمة لوزراء الخارجية الثلاثة لتهيئة اعمال الموتمر .

٢٠ – استولت القوات الاسترالية في بورنيو على حقول « سامبورجا » الغنية بالنفط والمصفاة المعروفة بهذا الاسم .

٢٣ – بدأت اليوم في قصر العدل بباريس محاكمة المرشال بتان ، وهي المحاكمة التي ستكون اعظم القضايا المثيرة في تاريخ فرنسا الحديث . والتهمة الموجهة الى المرشال هي الخيانة العظمى ، وقد طلب المدعي العام اصدار حكم الاعدام على المرشال الشيخ .

٢٤ – اعلنت وزارة البحرية الاميركية نبأ اتمام بناء نواة المنشآت الحيوية لاعظم قاعدة بحرية في نصف الكرة الغربي وفي اقصى الطرف الشرقي من جزيرة بورتوريكو .

واعلنت ادارة الاقتصاديات الاجنبية في واشنطن نبأ منح رخص استيراد عام يتضمن الواردات الى الشرق الاوسط فنشأ عن هذا التسامح الهام في امر التصدير الى خارج الولايات المتحدة الترخيص بتصدير ٤٦٠ صنفاً من البضائع بدون حاجة الى الاسترخاص .

حكمت المحكمة العسكرية العليا المصرية بالاعدام على قاتل الدكتور احمد ماهر باشا واحيلت الاوراق الى المفتي .

احتفلت سورية هذا العام احتفالاً فخماً بذكرى ميسلون وذكرى بطلها الخالد يوسف بك العظمة .

اعلن مقر القيادة الاميركية ان خمسمائة الف اميركي انتشروا في نهاية الاسبوع خلال منطقة الاحتلال الاميركي في المانيا فالقوا القبض على ٨٠ الف الماني .

عقدت الجلسة الثانية لمحاكمة المارشال بتان وقد ادلى فيها السيد بول رينو رئيس الوزارة الفرنسية السابق بشهادته ضد المارشال .